﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾

التَّخْوِيفُ والعِظَاتُ بالزَّلَازِلِ والآيَاتِ

أشرف عبد المقصود

إهداء
الفقير إلى رحمة ربه القدير
أبي محمد أشرف بن عبد المقصود
غفر الله له

مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع

قال ﷺ: « لا تقومُ السَّاعَةَ حتّى تكثُر الزّلازِل... »

رواه البخاريّ

التَّخوِيفُ والعِظَاتُ

بالزّلازِلِ والآيات





﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾

التَّخْوِيفُ والعِظَاتُ بِالزَّلَازِلِ والآيَاتِ

تأليف

أبي محمد أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم

مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

رقم الإيداع ٩٤٢٩ / ١٩٩٢

مكتبة الإمام البخاري

للنشر والتوزيع والبحث العلمى

الإسماعيلية ـ ٤٦ شارع الجمهورية (امتداد الثلاثيني) عرايشية مصر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

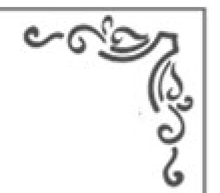
روى أبو داود (٥٠٧٤) وابن ماجه (٣٨٧١) عن ابنَ عُمَرَ ﵄ قال:

لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي ، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي ، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي ، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي ، وَمِنْ فَوْقِي ، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي» .

قَالَ أَبُو دَاوُدَ : قَالَ وَكِيعٌ : يَعْنِي الْخَسْفَ .



مقدمة المؤلف

إنَّ الحمد لله نحمده ونَسْتعينه ونستغفره، ونَعُوذُ بالله من شُرور أَنْفُسنا وسيِّئات أعمالنا، من يَهْدِه الله فَلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلل فلا هَادِيَ لَهُ. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأَشْهَدُ أَنَّ محمداً عبده ورسوله وبعد:

فهذا مَبْحَثٌ لَطيفٌ يَدُورُ حول آية من آيات الله التي يُرسلها لعباده كما قال سبحانه ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا ﴾ [الإسراء: ٥٩] .

إنها الزَّلازل.. التي تذكرنا بيوم الزلزلة الكبرى.!

تلك الآية الباهرة التي تدلُّ على قُدْرة الله وَعَظَمَته وَوَحْدانيته..

يُرْسِلُها للكافرين غَضباً وانتقاماً كما أَهْلك مَدْيَنَ وثَمَود !

ويُرسِلُها للمؤمنين عَذَاباً وتطهيراً لهم في الدُّنيا، وقد تكون ابتلاءً..!

والسَّبَب الباعث على كتابة هذا البحث هو ما وقع في يوم الخامس عشر من شهر ربيع الآخر سنة ١٤١٣هـ الموافق الثاني عشر من شهر أكتوبر ١٩٩٢م في تمام السَّاعة الثَّالثة وعشر دقائق من زلزال مُرَوِّع بمصر انهارت فيه المنازل وَرَاحَ فيه تحت الهدم مِئات الأَرْواح والضحايا !!

فأحدث هذا الزِّلزال في نفوس كثير من النَّاس عِدَّة تَسَاؤُلات امتلأت بها المحَافل وَالأَسْوَاق والصُّحف والمجلات...

فكان من الواجب علينا أن نجيب عن هذه التسَاؤلات لا سيما وقد رأينا مَنْ يتكلَّم في هذه الآيات بغير علم ضَارِباً بالنُّصوص القرآنية والحديثية عرض الحائط !!

ورأينا من يستشيط غضباً إذا رأى من يُذَكِّر النَّاس بهذه الآيات ويطلب منهم الرُّجوع إلى الله تعالى !!

جُرْأَةً عَلَى الله وأمناً من مَكْرِه وَغَضَبِه نَعُوذُ بالله من الخُذْلان!!

من هنا كانت الحاجة إلى هذا الأبواب:

الأول : ماذا تعرف عن الزَّلازل، وهل يتناقض التَّفسير العلمي لها مع الدِّين؟

الثاني : من أشراط السَّاعة : كثرة الزَّلازل.

الثالث: هل الزَّلازل غضب من الله ؟

الرَّابع : ما كانت هذه الزَّلازل إلا عن شيء أحدثتموه؟!!

الخامس : فقهُ الزَّلازل .

وقد سميته: «التَّخويف والعظَات بالزَّلازل والآيات» .

سائلا المولى تبارك وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوَجْهه الكريم وأنْ يحفظنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن وأن يُثَبِّت قُلُوبنا على دِينه.

وحَسْبِي الله ونعم الوَكيل، ولا حَوْلَ وَلا قُوَّة إلاَّ بالله العزيز الحكيم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مصر. مدينة الإسماعيلية

غرة جمادى الأولى سنة ١٤١٣هـ — وكتب

أبو محمد أشرف بن عبد المقصود

غفر الله له

الباب الأول

ماذا تعرف عن الزلازل ؟

وهل يتناقض التفسير العلمي لها مع الدين ؟

* **حقيقة الزلازل:** هى هزات أرضية فى القشرة الأرضية سريعة قصيرة المدى، وتحدث فى فترات متقطعة، وهى إما أن تكون ضعيفة لا يشعر بها الإنسان أو تكون قوية مدمرة (١).

– وقيل: هى كسر هائل يحدث فى القشرة الأرضية فى المناطق القريبة من الجبال والمحيطات، ويستمر الكسر المفاجئ عدة ثوان تكفى لتدمير ما فوقها (٢).

– وقيل: هى ذبذبات تنشأ عن تَصَدُّع الصُّخور على سطح الأرض، أو على أعماق كبيرة فى داخلها (٢).

* **أنواع الزلازل:** تبين المراصد ثلاثة أنواع من الهزات التى تحدث فى القشرة الأرضية، وهى:

(١) هزات أفقية: وهى الهزات الزلزالية الشائعة، وإن اشتدت هذه الهزات تسقط المباني والعمران.

(٢) هزات رأسية: من أسفل إلى أعلى، وهى تقذف بالصخور والمباني فى الهواء.

(٣) هزات دائرية: وهى نادرة وخطيرة، لأنها تجعل المنشئات تدور حول محورها

---

(١) ماذا تعرف عن الزلازل ص (١٠٨) مجلة العلم والإيمان عدد (٩) لسنة ١٩٧٦ مقال لعبد الرحمن فرناس.

(٢) البراكين والزلازل لفردريك هـ . بو، ص (١٠٧).

ثم تسقط.

* **طبيعة الزلازل:**

١- لكل زلزال مركز داخلى تبعث منه الهزات الضعيفة والعنيفة كموجات تتناقص شدتها بالبعد عنه، وقد يكون الاهتزاز ضعيفاً فتشعر به آلة رصد الزلازل فقط، وقد يكون الاهتزاز شديداً فتهتز الأرض بشدة فى جهات تبعد عشرات أو مئات الكيلومترات، وقد ثبت أن هزة بطول خمسة أو ستة ملليمترات تحدث أضراراً كثيرة كهدم المباني وقتل الأنفس.

٢- لكل زلزال مركز سطحى فوق المركز الدّاخلى تماماً، وتكون فيه أشد الهزات، وقد يكون المركز الدّاخل بعيداً بمقدار خمسة أو عشرة كيلو مترات، وقد يكون قريباً من سطح الأرض كأغلب الزّلازل البركانية [(١)].

* **درجات الزلازل**: للزلازل ١٢ درجة:

- زلزال الدّرجة الأولى: الذى يشعر به جهاز رصد الزلازل وحده، ولا يحس به أحد.

- زلزال الدّرجة الثّانية: يشعر به الإنسان وهو فى حالة سكون تام ومستيقظ ويحس به ساكنو الأدْوَار العليا.

- والنوع الثالث والرابع: يحس به بعض الناس، ومن الصّعب أن يحس به أحد أثناء العمل أو الحركة.

- والنوع الخامس والسادس من الزلازل: هو بداية الزلازل المُخرِّبة، ويوقظ الناس من النوم، ويُحْدِث فَزَعاً، ويحس به الإنسان إذا كان راكباً قطاراً أو فى مصعد أو مُسْتَقِلاً سيارة.

---

(١) ماذا تعرف عن الزلازل ص (١٠٨، ١١٠) مجلة العلم والإيمان عدد (٩) لسنة ١٩٧٦.

– أما النوع السابع فهو من الزلازل الشّديدة المُخرِّبة.

– وتشترك معه الزلازل من الدرجتين الثامنة والتاسعة، ولكن بنسبٍ متُفاوتة.

– أما النوع العاشر والحادي عشر والثاني عشر فيُسَمِّيه رجال أبحاث الزلازل بأنّه زلزال عالمي مدمر، وتسجله كل مراصد العالم مهما كان مركز حدوثه [١].

* **تسجيل الزلازل:** يوجد لدينا الآن آلات تمكننا من الإحساس بأضعف الهزات الأرضية وتسجيلها، وتسمى هذه الآلات بآلات «تسجيل الزلازل أو رصدها» أو آلات « السيزموجراف» [٢]، وقد اشتق هذا الاسم من كلمة «سيزمو» ومعناها باليونانية: الزلزال، ويطلق على العلماء الذين يستخدمون هذه الآلات ويدرسون الزّلازل: «السيزمولوجيون»، ومعناها: علماء الزّلازل [٣].

وهذه الأجهزة من إسطوانات أو أشباه لها: دوّارة، تدور مع ساعات متصلة بها، وعليها الورق يكسوها، فهو دوّار كذلك. ويأتي قلم، طرف منه مربوط بالأرض يُسَجِّل هزاتها، وطرفه الآخر على هذا الورق الدّوار يخط. وهو يخط خطّا مستقيماً حين لا تهتز الأرض. وهو يخط خطّا متذبذباً وفقاً للهزة الأرضية عندما تقع.

إنّه جهاز يرسم هزات الأرض على الورق، فيصف لنا نوعها، رسماً، وهو جهاز يرسم هذه الهزات والورق يدور مع السّاعة، فهو يسجل فى أى دقيقة بدأت، وفى أى ثانية، ومتى انتهت.

وهو جهاز – بل أجهزة – تكشف كذلك عن طريق سريان الموجة من أى جهة

---

(١) ماذا تعرف عن الزلازل ص (١٠٨–١١٠) مجلة العلم والإيمان عدد (٩) لسنة ١٩٧٦.

(٢) ومنها «مقياس رختر» نسبة لعالم الجيوفيزياء الأمريكي: تشارلز فرانسيس رختر الذى صنع جهازاً لقياس الهزات الأرضية الصغيرة فى ولاية كاليفورنيا سنة ١٩٣٥.. ثم قام بتطوير الجهاز مع عالم آخر اسمه بنوجوتبرج.

(٣) البراكين والزلازل لفريدريك هـ. بو، ص (١٠١).

جاءت.

وتتعاون محطتان للرّصد أو أكثر على سطح الأرض. ومن اتجاهاتها المرصودة عندهم يعين العلماء موقع الزلزلة بأكثر ما يمكن من ضبط(١).

التّنبؤ بالزّلازل: لم يصل العلم بعد إلى وسيلة للتّنبؤ بالزّلازل فتُنْذر الناس بقرب وقوعها حتى يمكن تجنب الخسائر في الأرواح.

وإذا كان العلم قد وَصَل إلى التّنبُّؤ بحدوث بعض الظواهر الكونية مثل كسوف الشمس وخسوف القمر (٢) طبقا للدّراسات والحسابات العلمية فإن هذا الأمر لم يتوفّر لهم بعد في الزّلازل !!

يقول فردريك هـ. بو عالم الجيولوجيا الأمريكي: «من الحكمة أن نتّخذ الاستعدادات لمواجهة الزّلازل بدلا من أن نقول: إنها لا يمكن أن تقع لدينا» ونحن لا يمكننا أن ننتظر حتى يتنبأ لنا العلماء بالزّلازل، وسوف ينقضي وقت طويل قبل أن يتمكن أحد من التنبؤ بوقوع أحدها. لقد حقق التنبؤ بحدوث البراكين كثير من السّبق إذا ما قورن بالتّنبؤ بوقوع الزلازل» ا هـ (٣).

ويقول خبير الزلازل الأمريكي والتر هايز: « إنّه لا يمكن حتى الآن التّكهن بوقت وحجم ومكان زلزال وشيك الحدوث» ا هـ (٤).

ويقول د. فاروق الباز: «إنّ التّوقعات والتنبؤ بالزّلازل مازال من النّاحية العلمية

---

(١) في سبيل موسوعة علمية. للدكتور أحمد زكي ص (٤١).

(٢) راجع كلام ابن دقيق العيد ص (٤٣-٤٤) في الكلام على أسباب الكسوف والخسوف وأن ذلك لا يمنع أن تكون أسباباً عادية يشاء الله خرقها، ولهذا كان النبي ﷺ عند اشتداد هبوب الريح يتغير ويدخل ويخرج خشية أن تكون كريح عاد، وإن كان هبوب الريح موجوداً في العادة.

(٣) البراكين والزلازل ص (١٢٤).

(٤) جريدة الأهرام بتاريخ ١٩/١٠/١٩٩٢.

بسيطًا جدًا [١]، ولا نستطيع أن نتنبأ بوقوع الزّلزال ١٠٠٪ ونحمى الناس منه ومازال العلم فى هذا المجال لا يسمح بذلك» اهـ [٢].

* **أشهَرُ الـزّلازِل**: يبلغ المتوسط السنوي لعدد الزلازل التى تتعرض لها قشرة الأرض إلى ١٥٠ ألف هزة يمكن الإحساس بها فى الأماكن الآهلة، وإذا أحصيناها جميعًا بما فيها أصغر الهزات فقد يزيد عددها فى السنة الواحدة على مليون هـزة[٣].

وأشهر ما وقع من الزلازل:

١- زلزال وقع سنة ١٥٥٦م فى شنسى SNENS بالصين فى ٢٤ يناير وبلغ عدد ضحاياه ٨٠٠ ألف قتيل.

٢- ومثله حدث فى عام ١٨٨٦ فى شارلستون بكارولينا الجنوبية بأمريكا ويعتبر من أكبر الزلازل التى حدثت فى العالم إذ غطى مساحة مليونين و ٨٠٠ ألف ميل مربع وكان تأثيره ظاهراً على طول المسافة بين كندا وخليج المكسيك [٤].

٣- ومثله زلزال مسينا بجنوب إيطاليا (صقلية) سنة ١٩٠٨ أطاح بحياة ٥٠ ألف شخص.

٤- وفى عام ١٩٢٠م قتل أحدها فى الصين ١٠٠ ألف شخص.

---

(١) حيث تدور معظم الدراسات فى هذا الشأن على متابعة التغيرات التى تطرأ على امتداد تصدع ما فى سطح الأرض وكذا الإشارات المهمة التى تطرأ قبل وقوع الزلازل وغير ذلك.

(٢) جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٢/١٠/١٨

ومع ذلك رأينا ما إن وقع زلزال الاثنين ١٢ أكتوبر بمصر إلا وكثرت التخرصات فى الصحف والمجلات بموعد الزلزال القادم وأنه بعد ١٥٠ عاماً! وآخر قال بعد ١٠٠ عام! وآخر قال بعد ٧٠ عاماً! وغير ذلك كثير، والله المستعان!

(٣) البراكين والزلازل ص (٩٣).

(٤) ماذا تعرف عن الزلازل ص (١١١) مجلة العلم والايمان عدد (٩) لسنة ١٩٧٦م

٥- وبلغ عدد الموتى فى الزلزال الذى أصاب طوكيو ويوكاهاما باليابان عام ١٩٢٣م بـ ١٥٠ ألف شخص.

٦- وفى عام ١٩٣٩ دفن تحت أنقاض إحدى المدن التركية ٤٠ ألف شخص، وفى عام ١٩٥٣ مات الآف آخرون فى نفس المنطقة [١].

وغير ذلك كثير مما هو مدون فى إحصائيات مراكز الهيئات العلمية .

* **أسباب الزلازل:** يقول د. أحمد زكى: «إن الزَّلزلة سببها تَوتّر يحدث فى طبقات الأرض، فإذا هو زَادَ على الحد فرّج عن نفسه بأن حطّم هذه الطّبقات فتَتَصدّع، وتَنْشق، ويحدث هذا فى سائر الطّبقات هزّات تجرى فيها موْجات من حركة تخرج من حيث وقعت الواقعة إلى سائر بِقَاع الأرض، تسير فى كل وجهة وكل مَذْهب، كما يسير الموج فى الماء تقذف فيه بالحجر» [٢].

كلام نفيس لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم فى أسْبَاب الزَّلازل العلْمية وأنَّ هذا لا يتناقض مع الحكمة منها:

قد يظنُّ البعض أن هناك تَعَارضاً بين أسباب الظّواهر الكونية وبين الحكمة من وَرَائها.

فحينما تحدث ظاهرة كونية مثل الزّلازل ونجد تفسيرات أهل الاختصاص بعلوم الأرض فى جميع بقاع الدُّنيا وتحليلهم وآرائهم فى أسباب هذه الظّاهرة فليس معنى هذا أنه لا توجد حكمة لهذه الظاهرة لأن هذه الآيات أو الظّواهر الكونية حوادث، والحوادث لها أسباب وحكم.

- فالكلام على أسْباب هذه الحوادث العلمية مجاله أهْلُ الاختصاص، فإنَّ مدار احتجاجهم على التجربة والقياس.

---

(١) البراكين والزلازل ص (٩٤).

(٢) فى سبيل موسوعة علمية ص (٤٠) وقد قسم بعض علماء الزلازل أسباب حدوثها لسببين:

أحدهما: زلازل ترجع إلى طبيعة القشرة الأرضية ووجود تشقق أو انكسار بها.

الثانى: زلازل تحدث بسبب ثوران البراكين. راجع ماذا تعرف عن الزلازل عدد (٩) من مجلة العلم والإيمان.

وأمّا الكلام على الحكمة من هذه الآيات الكونية كالزّلازل والبراكين والخُسُوف والكُسوف.. فمن شأن علوم الوحي.

فالله سبْحانه مُسَبّبُ الأسْباب ومُدبِّر الكون وهو العليم الحكيم.

وموقف علماء المسلمين من الزّلازل يدل على سِعَة أُفُقِهم ودِقّة نَظَرهم وصَفاءِ عُقُولهم، وسَلامَة رأيهم:

* فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) العالم النّحرير والنّاقد البصير حينما سُئل عن الزّلازل على قول أهل الشّرع وعلى قول الفلاسفة؟

أجاب: الحمد لله رب العالمين: الزّلازل من الآيات التي يُخَوّف الله بها عباده، كما يخوفهم بالكُسوف وغيره من الآيات.

والحَوادِثُ لها أسْبَاب وَحِكَم:

– فكونها آية يُخَوِّفُ الله بها عباده هي من حكمة ذلك.

– وأما أسبابه: فمن أسبابه انضغاط البخار في جوف الأرض، كما ينضغط الريح والماء في المكان الضّيق، فإذا انضغط طلب مخرجاً، فيشق ويُزَلْزِل مَا قَرُب منه من الأرض.

وأما قول بعض الناس: إن الثّور يحرك رأسه فَيحرك الأرض فهذا جهل [١]، وإن نقل عن بعض الناس، وبطلانه ظاهر، فإنه لو كان كذلك لكانت الأرض كلها تزلزل، وليس الأمر كذلك والله أعلم [٢].

* وقال الحافظ ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ): «ولما كانت الرِّياح تَجُول فيها (أي الأرض) وتَدْخُل في تَجاويفها وتحدث فيها الأبخرة وتَخْفق الرِّياح ويَتَعَذّر عليها

---

(١) ومثله ما قيل عن هناك جبل يسمى قاف محيط بالدنيا وعروقه إلى الصخرة التي عليها الأرض فإذا أراد الله أن يزلزل قرية أمر ذلك الجبل الذي يلي تلك القرية فيزلزلها ويحركها.. قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢٢١/٤): «وكأن هذا والله أعلم من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس» اهـ.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٤/٢٦٤).

المَنفذَ أذنَ الله سبحانه لها في الأحيان بالتّنفس فتَحْدُث فيها الزّلازل العظام.

فَيَحْدُثُ من ذلك لعباده الخوف والخشية والإنابة والإقلاع عن معَاصيه والتّضرع إليه والنّدم كما قال بعض السّلف – وقد زُلْزِلَت الأرض–: «إنّ ربكُم يَسْتَعْتِبُكُمْ».

وقال عمر بن الخطاب – وقد زُلْزِلَت المدينة فخطبهم ووعظهم وقال–: «لئِن عَادَت لا أُسَاكِنُكُم فيها»[1] اهـ.

فهذا التّفسير العلْمي وغيره – إنَ صحّ – ما هو إلا تحليلٌ لأسبَاب هذه الآية الكونية.

والله سبحانه مُسبّب الأسْباب ومُجْرى الأفْلاك ذُو حكمة بَالغة وذُو قُدْرة مُقْتدرة.

ولا أستغرب من كلام من يقول: «إن هذا أمر طبيعي لا علاقة له بالدّين وليس هناك من ورائه حكمة» إذا كان ممن لا يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر وينصب كلامه فقط على تحليل الأسباب العلمية لمثل هذه الظّواهر: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [الروم: ٧] .

فهذا شيءٌ متوقّع ممن لا يؤمن بمن رفع السماء بلا عمد، وفَرَشَ الأرض وجعلها قرارًا ومهادًا، يُدبّرُ الأمْرَ، ويُسَيّرُ الأفلاك، وهو الحكيم الخبير.

ولكني أتعجب ممن يزعم أنه مسلم ويُرَدّد هذا الكلام! ويرمي من يتكلم في الحكمة من هذه الظواهر بالتّخلف والجهل!

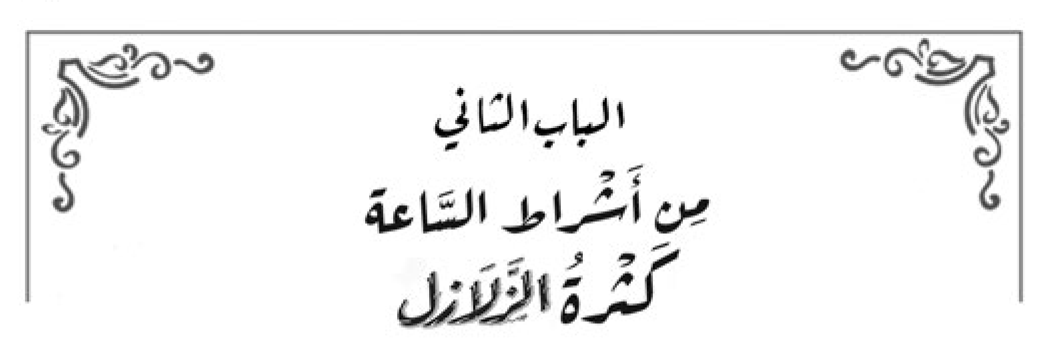
أما قرأ هذا الهالك قول الله في كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ [الإسراء: ٥٩].

ولكن الأمر كما قال الله : ﴿ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٦٠].

نعوذ بالله من الخذلان!

* * * *

(١) مفتاح دار السّعادة (١/٢٢١)، وسيأتي الكلام على هذه الآثار التي أوردها ابن القيم رحمه الله.



*** أقسام أشراط الساعة:**

تنقسم أشراط السّاعة إلى قسمين:

أشراط صُغرى: وهى التى تتقدّم السّاعة بأزمان مُتَطاولة وتكون من نوع المعتاد: كقبض العلم وظُهور الجهل والتّطاول فى البنيان.. وقد يظهر بعضها مُصَاحباً للأشراط الكبرى أو بعدها.

أشرَاط كبرى: وهى التى تُقَارب قيام السّاعة مُقَاربةً وَشيكة سَرِيعة وتكون فى ذاتها غير معتادة الوقوع: كَظُهور الدّجال، ونُزول عيسى عليه السلام، وخُروج يأجوج ومأجوج، وطُلوع الشّمس من مغربها.

*** وقسّم بعض أهل العلم أشراط السّاعة من حيث ظُهورها إلى ثلاثة أقسام:**

(١) قسْمٌ ظهر وانقضى ووقع وفق ما قال النبّي ﷺ مثل ظُهور الفتن، وقتال التُّرك،...

(٢) قسْمٌ وقعت مبَاديه ولم يَسْتَحكم وَلَا يَزَال يَتَتَابع ويكثر مثل: خُروج الدّجالين وكثرة الزلازل.

(٣) قسْمٌ لم يَقَع منه شيء ولكنه سيَقَع.

والقسم الأوّل والثّانى من أشراط السّاعة الصُغْرى.

وأمّا القسم الثّالث فيشترك فيه الأشراط الكُبرى، وبعض الأشراط الصُّغرى[١].

ومن هنا يتضح أن «كثْرة الزّلازل» من أشراط السّاعة الصُّغرى التي ظهرت بدايتها ولا تزال تتابع وتكثر حتى تستحكم وحتى يطلق على بعض الأوقات «سنوات الزلازل» كما سيأتي بيانه في الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ.

كثرة الزّلازل.. وهل هذا وقتها؟!

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا تَقُوم السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ العلْمُ، وَتَكْثُر الزَّلازِل، وَيَتَقَارَب الزَّمَانُ، وَتَظْهَر الفتَنُ، وَيَكْثُر الهَــرجُ - وَهُو القتلُ- وحتّى يَكْثُرَ فيكُم المَالُ فيَفِيض »[٢].

وقد دل هذا الحديث على عدة فوائد:

الأولى: أن كثرة الزلازل من أشراط السّاعة الصُّغرى والتي ظهرت بدايتها ولا تزال تتابع وتكثر حتى تَسْتَحْكِم.

---

(١) راجع: مقدمة التصريح بما تواتر في نزول المسيح ص (٩)، وفتح الباري لابن حجر (١٣/٩٠)، وأشراط الساعة ليوسف بن عبد الله الوابل ص (٦١، ٦٢).

(٢) رواه البخاري (١٠٣٦).

«يقبض العلم»: المراد به مَوْتُ أهْله، فكلما مات عالم في بلد ولم يَخْلُفه غيره نقص العلم من تلك البلد، والمراد بالعلم هنا العلم الشرعي.

«يتَقَارَب الزّمان»: قال ابن بطال: « معناه تقارب أحوال أهْله في قِلّة الدِّين حتى لا يكون فيهم من يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر لغلبة الفِسق وظُهور أهله. وقال البيضاوي: «يحتمل أن يكون المراد تسارع الدول إلى الانقضاء والقرون إلى الانقراض فيتقارب زمانهم وتتدانى أيامهم» الفتح (١٣/١٨، ١٩) وقال الشيخ ابن باز:

« الأقرب تفسير التّقارب المذكور في الحديث بما وقع في هذا العصر من تَقَارب ما بين المدن والأقاليم وقصر زمن المسافة بينها بسبب اختراع الطّائرات والسّيارات والإذاعة وما إلى ذلك والله أعلم» ا.هـ فتح الباري (٢/٦٠٦) بتعليق ابن باز.

الثانية: التّنبيه إلى وقت تكاثُر الزّلازل ومَدَى ارْتباطه بتَفَشّي المَعَاصي وظهُور المنكرات من قَبْض العلم، وتقَارب الزمان، وظهور الفتن، وكثرة القتل..

« ثم أَلْقِ نَظرة حَوْلَكَ، وارجع البَصَر كرَّتين حتى تَشْمل به الزّمان والمكان والعالم الذى وُجِدت فيه، وما يجرى فيه من حَوادث، ويَدُبُّ فيه من خلائق: ألا يترجَّح لديك مثل ما حَدَثَ لي أنه تَفْسيرُ هذا الخبر »[١].

الثالثة: أن المراد بكثرة الزلازل هو أن يتوافر فيها صفتان: الشمول، والاستمرار والدوام. قال الحافظ ابن حجر: « قَدْ وقَع فى كثير من البلاد الشّمالية والشّرقية والغَرْبية كَثِير من الزّلازل، ولكن الذى يظهر أن المراد بكثرتها: شُمُولها، ودَوَامها». اهـ[٢].

والمراد بالشُّمول: أى جميع أَرْجَاء الأَرض.

والمراد بالدّوام: تَقَارُب ما بين الزّلازل بحيث تكون على مدار العام، وقد سجّلت لنا كتب التّاريخ الإسلامي كثير من الزّلازل التى وقعت فى بلاد العالم مع الوَصْف التّفصيلى لما حَدَثَ من هَدْمٍ وخَرَابٍ وَهَلاكٍ..

كما فى المنتظم لابن الجوزي، والكامل فى التاريخ لابن الأثير، وتاريخ الأمم والملوك للطبريّ، والبداية والنهاية لابن كثير، وكتاب شذرات الذهب لابن العماد، وكتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي، وإنباء الغُمر بأبناء العمر لابن حجر، والنجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة.

وكذا عقد الحافظ ابن الجوزي فصلاً فى كتابه «المدهش»[٣] فى بعض الآيات

---

(١) من مقدمة «كَشْف الصّلصلة عن وصف الزّلزلة» للسيوطي. للدكتور عبد العزيز القارئ ص (٨).

(٢) فتح الباري (١٣/٩٣، ٩٤).

(٣) المدهش ص (٦٦:٧٠)

والزلازل من سنة ٢٠ هـ حتى سنة ٥٥٢ هـ.

وكذا دون الحافظ السيوطي في كتابه «كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة» طرفاً من الزلازل الواقعة من سنة (٢٠هـ- ٦٤١م) حتى عام (٩١٠هـ-١٥٠٥م).

ثم زاد عليه تلميذه الداودي حتى عام ٩٤٠هـ، وكذا تلميذه عبد القادر الشاذلي المؤذن حتى عام ٩٩٠ هـ [1].

والناظر في هذه الكتب- لا سيما كتاب السُيوطى- يرى مدى الكثرة الكاثرة للزلازل في كل مكان ومدى التقارب بينها.

وأما ما يتعلق بإحصائية الزلازل في هذا القرن العشرين فإنها تطلعنا على مدى الشمول والدوام والاستمرار للزلازل في أرجاء الأرض بما يستطيع الباحث أن يؤكد من ورائه مدى تحقق ما أخبر به النبي ﷺ من وجود كثرة الزلازل في آخر الزمان.

وفي إحصائية إعداد د. مهندس على مهران هشام للزلازل العظيمة التى وقعت منذ بداية القرن العشرين [2] قال:

حدث في العالم منذ بداية العشرين حتى الآن ٥٠ زلزالاً خطيراً وقعت في بلاد ومناطق تمتد في جميع القارات تقريباً وإن كانت القارة الإفريقية أقل القارات في عدد الزلازل الخطيرة في القرن الحالي.

وفيما يلي تفصيلات هذه الزلازل من حيث تاريخ حدوثها وأماكنها ودرجة قوتها وعدد الضحايا:

* ١٨-١٩ أبريل ١٩٠٦- سان فرانسيسكو بأمريكا، ٨,٣ درجة، ٥٠٣ أفراد.

---

(١) كشف الصلصلة ص (٦٥ : ١٣٥).

(٢) جريدة الجمهورية بتاريخ ١٦/١٠/١٩٩٢م

* ١٦ أغسطس ١٩٠٦– شيلى ٦ر٨ درجة – ٢٠ ألف شخص.
* ٢٨ ديسمبر ١٩٠٨– إيطاليا– ٥ر٧ درجة – وعدد الضحايا لم يحدد.
* ١٣ يناير ١٩١٥– إيطاليا – ٥ر٧ درجة – ٩٨٠ر٢٩ فرد.
* ١٦ ديسمبر ١٩٢٠– الصين– ٦ر٨ درجة ١٠٠ ألف فرد.
* ١ سبتمر ١٩٢٣– طوكيو– ٣ر٨ درجة –١٠٠ ألف فرد.
* ٢٢ مايو ١٩٢٧– الصين –٣ر٨ درجة– والضحايا ٢٠٠ ألف فرد.
* ٢٦ ديسمبر ١٩٣٢– الصين– ٦ر٧ درجة –٧٠ ألف فرد.
* ٢ مارس ١٩٣٣– اليابان – ٨ر٩ درجة – ٢٩٠٠ فرد.
* ١٥ يناير ١٩٣٤– الهند –٤ر٨ درجة– ٧٠٠ر١٠ فرد
* ٣١ مايو ١٩٣٥– الهند –٥ر٧ د.حة– ٣٠ ألف فرد
* ٢٤ يناير ١٩٣٩– شيلى – ٣ر[illegible] جة – ٢٨ ألف فرد.
* ٢٦ ديسمبر ١٩٣٩– تركيا –٩ر٧ درجة– عدد الضحايا ٣٠ ألف فرد.
* ٢١ ديسمبر ١٩٤٦– اليابان– ٤ر٨ درجة –٢٠٠٠ شخص.
* ٢٨ يونيو ١٩٤٨– اليابان –٣ر٧ درجة– ١٣١ر٥ شخصاً .
* ٥ أغسطس ١٩٤٩– الإكوادور– ٨ر٦ درجة– ٦٠٠٠ شخص.
* ١٥ أغسطس ١٩٥٠– الهند– ٧ر٨ درجة– ١٣٥٠ ضحية.
* ١٨ مارس ١٩٥٣– تركيا ٢ر٧ درجة– ١٢٠٠ ضحية.
* ١٠ –١٧ يونيو ١٩٥٦– أفغانستان– ٧ر٧ درجة– ٢٠٠٠ فرد.
* ٢ يوليو ١٩٥٧– إيران– ٤ر٧ درجة– ٢٥٠٠ فرد.
* ١٣ ديسمبر ١٩٥٧– إيران– ١ر٧ درجة –٢٠٠٠ فرد.
* ٢٩ فبراير ١٩٦٠– المغرب– ٨ر٥ درجة– ١٢٠٠ فرد.
* ٢١–٣٠ مايو ١٩٦٠– شيلي– ٣ر٨ درجة– ٥٠٠٠ فرد.

* ١ سبتمبر ١٩٦٢- إيران -١ر٧ درجة- ١٢٢٣٠ فرد.
* ٢٦ يوليو ١٩٦٣- يوغوسلافيا- ٦ ريختر -١١٠٠ فرد.
* ٢٧ مارس ١٩٦٤- ألاسكا (أمريكا)- ٤ر٨ درجة- ١٣١ فرداً.
* ١٩ أغسطس ١٩٦٦- تركيا- ٩ر٦ درجة- ٢٥٢٠ فرداً.
* ٣١ أغسطس ١٩٦٨- إيران- ٤ر٧ درجة- ١٢ ألف ضحية.
* ٢٨ مارس ١٩٧٠- بيرو- ٧ر٧ درجة- ٦٦٧٩٤ ضحية.
* ١٠ أبريل ١٩٧٢- إيران- ٩ر٦ درجة - ٥٠٥٧ فرداً.
* ٢٣ سبتمبر ١٩٧٢- نيكاراجوا- ٢ر٦ درجة-٥٠٠٠ فرد.
* ٢٨ ديسمبر ١٩٧٤-باكستان- ٣ر٦ درجة- ٥٢٠٠ فرد.
* ٦ سبتمبر ١٩٧٥- تركيا -٨ر٦ درجة- ٢٣١٢ فرداً.
* ٤ فبراير ١٩٧٦- جواتيمالا- ٥ر٧ درجة -٢٢٧٧٨ فرداً.
* ٦ مايو ١٩٧٦- إيطاليا- ٥ر٦ درجة- ٩٤٦ فرداً.
* ٢٨ يوليـو ١٩٧٦- الصين- مـا بين ٨ر٧ درجـة إلى ٢ر٨ درجـة الرقم الرسمى للضحايا ٢٤٢ ألف نسمة وغير الرسمى ٨٠٠ ألف نسمة.
* ٧ أغسطس ١٩٧٦- الفلبين- ٨ر٧ درجة -٨٠٠٠ فرد.
* ٢٤ نوفمبر ١٩٧٦- تركيا- ٩ر٧ درجة -٤٠٠٠ فرد.
* ٤ مارس ١٩٧٧- رومانيا- ٥ر٧ درجة- ١٥٤١ فرداً.
* ١٦ سبتمبر ١٩٧٨- إيران- ٧ر٧ درجة- ٢٥ ألف فرد.
* ١٢ سبتمبر ١٩٧٩- كولومبيا والإكوادور- ٩ر٧ درجة - ٨٠٠٠ فرد.
* ١٠ أكتوبر ١٩٨٠- الجزائر - ٣ر٧ درجة- ٤٥٠٠ فرد.
* ٢٣ نوفمبر ١٩٨٠- إيطاليا- ٢ر٧ درجة- ٤٨٠٠ فرد.
* ١٣ سبتمبر ١٩٨٢- اليمن الشمالية- ٦ درجات- ٢٨٠٠ فرد.

* ٣٠ أكتوبر ١٩٨٣ – تركيا – ٧٫١ درجة – ١٣٠٠ فرد.

* ١٩ سبتمبر ١٩٨٥ – المكسيك – ٨٫١ درجة – ٩٥٠٠ فرد.

* ٧ ديسمبر ١٩٨٨ – أرمينيا (السوفيتية) – ٦٫٩ درجة – ٢٥ ألف فرد.

* أكتوبر ١٩٨٩ – سان فرانسيسكو (أمريكا) – ٦٫٩ درجة – عدد الضحايا لم يحدد.

* يونيو ١٩٩٠ – إيران – ٦٫٨ – أكثر من ٥٠ ألف فرد.

* ١٢ أكتوبر ١٩٩٢ – مصر – ٥٫٩ درجة – أكثر من ٥٠٠ فرد [١].

ومن هذا يتبين أنه في خلال سنوات القرن العشرين – حتى الآن – شهد كل شهر من شهور السنة عدداً من الزلازل تراوحت بين ٨ مرات فى كل من سبتمبر وديسمبر و٥ مرات فى كل من مارس وأغسطس و٤ هزات فى كل من مايو وأكتوبر و٣ فى كل من يناير ويونيو ويوليو و٢ فى كل من فبراير وأبريل ونوفمبر.

٢ – ويؤكد هذا ما جاء عن عبد الله بن حوالة رضى الله عنه قال:

وضع رسول الله ﷺ يَدَهُ عَلَى رَأْسِي – أَوْ عَلَى هَامَتِي – فقال: «يَا ابْنَ حَوَالَةَ إِذَا رَأَيْتَ الخلافَةَ قَدْ نَزَلَتْ أَرْضَ المقـــدسَةَ فَقَدْ دَنَتِ الزَّلازِل وَالبَلابِلُ وَالأُمُورُ العِظَامُ، والسَّاعَةُ يَوْمئذ أَقْرَبُ إلى النَّاس مِنْ يَدِي هذِهِ مِنْ رَأْسِكَ» [٢].

« إذا رأيت الخلافة » : أى خلافة النبوة.

« قَدْ نَزَلَتْ أَرْض المقدسة» : أى من المدينة إلى أرض الشام كما وقعت فى إمارة

---

(١) ومازالت موجة من الزلازل تجتاح العالم بعد وقوع هذا الزلزال مما يؤكد لنا ما أخبرت به هذه الأحاديث الصحيحة الثابتة.

(٢) حَديث صَحيح: رواه أحمد (٥/٢٨٨) وأبو داود (٢٥٣٥) والحاكم (٤/٤٢٥) وقال: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبى وصححه الألباني فى صحيح سنن أبى داود (٢/٤٨٢).

ابن حوالة: هو عبد الله بن حوالة، أزديّ له صحبة .

هامتي: الهامة رأس كل شئ.

بني أمية ؛ قاله القاري .

« فَقَد دنَت » : أي قربت.

«الزَّلازل والبَلابل» : قال الخطابي : البلابل الهموم والأحزان، وبلبلة الصدر: وسواس الهموم واضطرابها، قال: وإنما أنذر أيام بنى أمية وما حدث من الفتن زمانهم. اهـ[1].

وفى الحديث إشارة واضحة إلى وقوع الزلازل فى هذه الأيام وهاهى تقع هنا وهناك لتؤكد صدق ما أخبر به نبينا ﷺ ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ [ص:٨٨] .

وقد أخبرنا الصَّادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى عن كثرة الزَّلازل فى آخر الزمان بحيث تصير سِمة من سِمات السِّنين والأيام حتى تُسَمَّى هذه الأوقات «بسنوات الزَّلازل» .

٣- فعن سلمةَ بن نُفَيْلٍ السَّكُونيّ قال: كُنَّا جُلُوساً عند النبي ﷺ وهو يُوحَى إليه فقال: « إنِّي غيرُ لابثٍ فيكم، ولَستُم لابثينَ بَعْدي إلا قَليلاً، وَستأتوني أَفْنَاداً، يُفْنِي بَعْضُكُم بعْضاً، وبينَ يَدي السَّاعَةِ مُوتَانٌ شَدِيد، وَبَعْدهُ سَنَوَاتُ الزَّلازل» [2].

«أفناداً» : الأفناد الفرق المختلفين، الواحد فند[3].

يشير بذلك ﷺ إلى الفتن والحروب التى جرت بعده بين المسلمين بعضهم البعض ومازالت إلى وقتنا هذا تحدث بين الحين والآخر ويشعل فتيلها اليهود والصليبيون!!

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبى داود (٢١٠/٧) .

(٢) حَديث صَحيح: رواه أحمد (١٠٤/٤) وابن حبان (٦٧٧٧) وأبو يعلى (٦٨٦١) والطبراني (٦٣٥٦) وقال الهيثمى فى المجمع (٣٠٦/٧) : رجاله ثقات.

وصحَّح إسناده الأرناؤوط في تخريجه لابن حبان (١٨٠/١٥).

(٣) النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٤٧٥/٣).

«مُوتَان» : بوزن البطلان: الموت الكثير الوقوع.

وبوّب ابن حبان على الحديث بقوله: «ذِكْرُ الإخْبار عن وُجُود كثْرة الزّلازِل فى آخر الزّمان» [١].

* * * *

(١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٥/١٨٠).



الباب الثالث

هَلْ الزَّلَازِل

غضب من الله تعالى ؟!

مَا إنْ وَقَعَ زلزالُ الاثنين ١٢/١٠/١٩٩٢م بمصر إلا وَتَرَكَ لَنَا عدداً كبيراً من التّساؤلات..

هل الزّلزال غَضَبٌ من الله؟ أم إِنْذَار وتَحْذِير؟ أم هو بَلاءٌ ؟!

فمن قائل: هو غَضَبٌ وانتقام من الله !

ومِنْ قائل: أنّه تَصْحِيحٌ وتَوْجِيه ولَيْسَ غضباً!

ومِنْ قائل: أنّه آية من آيات الله تَدلُّ على قُدْرتِهِ ووَحْدَانيّته!

ومِنْ قائل: أنّه بَلَاء وابْتلاء من الله!

والصّحيح الذى دلت عليه الأدلة– كما سنوضحه– أنه :

* قد تكون الزّلازل آية دالة على وَحْدَانيته وقدرته سبحانه وتعالى!

* قد تكون الزّلازل تخويفاً وعظة من الله لعباده!

* وقد تكون الزّلازل غضباً وانتقاماً من الكافرين !

* وقد تكون الزّلازل عذاباً في الدنيا للمسلمين ورحمة لهم في الآخرة !

* وقد تكون الزّلازل ابتلاءً لأهل القتل بالهدم!

* وقد تكون تذكيراً وإشارة ليوم القيامة يوم الزلزلة الكبرى!

وهذا بيان ما قررناه:

(١) الزَّلَازِلُ آيَةٌ باهرة تَدُلُ عَلَى قُدرَةِ اللَّه وَوَحْدَانِيّته:

من تفكَّر في مَخلوقات الله وَجدَها مرآة يُشَاهَد فيها قُدْرة ربِّه.

* فإذا نظرت إلى الأرض وكيف خُلِقَت: رأيتها من أعظم آيات فَاطِرها وبديعها، خلقها سبحانه فراشاً ومهاداً، وذللها لعباده، وجعل فيها أرْزَاقهم وأقْواتهم ومعايشهم، وجعل فيها السُّبل لينتقلوا فيها في حوائجهم وتصرفاتهم، وأرساها بالجبال فجعلها أوتاداً تَحفَظُها لئلا تَميد بهم، ووسع أكنافها ودحاها فَمَدَّها وبَسَطَها وطَحَاها فوَسَّعها من جوانبها وجعلها كفَاتاً للأحياء تَضُمّهم على ظَهْرها ماداموا أحياء، وكفاتاً للأموات تَضُمُّهم في بَطنها إذا ماتوا، فَظهرها وطن للأحياء وبطنها وطن للأموات.

وقد أكثر الخالق سبحانه من ذِكْر الأرض في كتابه، ودعا عباده إلى النَّظر إليها والتَّفكر في خلقها، فقال سبحانه: ﴿و الأرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ المَاهِدُونَ﴾ [الذاريات: ٤٨]، ﴿اللـه الذي جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ قَرَارًا﴾ [غافر: ٦٤]، ﴿اللَّه الَّذى جَعَلَ لكمّ الأرْضَ فِرَاشًا﴾ [البقرة: ٢٢]، ﴿أفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإبِلِ كَيْفَ خُلِقَت * وَإلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإلى الجبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإلَى الأرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠]، ﴿إنَّ في السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ لآيَاتٍ لِلْمُوقِنِين﴾ [الجاثية: ٣] [١].

* ثم انظر إليها لحظة اضطرابها وزلزلتها بعد أن كانت ساكنة مُطْمئنَّة لترى بنفسك الدَّلائل الوَاضِحات على قُدْرة الخالق سبحانه وإرادته وحكمته وَوَحْدَانيَّته.

﴿هَذا خَلْقُ اللَّه فَأرُوني مَاذا خَلَقَ الَّذين مِن دُونه﴾ [لقمان: ١١].

* ثم تأمَّل حكمته سبحانه من وراء ذلك ومَا يَحْدُث للعباد من الخوف والخَشْية والاستيقاظ من الغفلة.. وما في ذلك من المنافع لهم.

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم ص (١٩٩، ٢٠٠).

* ثم تأمَّل عظمته سبحانه وأنَّ مقاليد الأمور بيده فيمن نجا كيْفَ نجا وفيمن هلَك كيْفَ هَلك لِترَى بنفْسك مَدَى القُدْرة الفائقة للحى القيوم الَّذى يُخرِجُ الحيَّ من الميِّت ويُخرج الميِّتَ من الحى [١]، وهل ذلك إلا دليل واضح على أن هذا الكون من تدبير اللطيف الخبير.

فَوَاعَجَبا كيْفَ يُعْصَى الإلـه	أمْ كيفَ يَجْحَدُه الجاحِدُ
ولله في كُلِّ تحْريكَةٍ	وتَسْكينة أبَداً شاهِدُ
وفي كلِّ شيْءٍ له آيَة	تَدلُّ علَى أنَّه واحِدُ [٢]

* ثم تأمَّل عَظَمته سبحانه فى أنه المُتَصرِّف فى مَصائِر العباد وأن ما يدعون من دُون الله لا يَمْلكُون كَشْفَ الضُّر عنهم ولا تحويله إلى سِواهم.

فحقا يا لها من آيات تدل على قدرة الله ووحدانيته [٣].

---

(١) ولا يفوتنا أن نسجل هذه العبرة من العبر التي جاء بها زلزال ١٢ أكتوبر ١٩٩٢م بمصر في خروج المهندس أكثم السيد إسماعيل من تحت أنقاض عمارة هليوبوليس بمصر الجديدة بالقاهرة بعد ٨٣ ساعة ظل يكافح فيها من أجل الحياة وفوقه مئات الأطنان من الأتربة التي يصل ارتفاعها إلى أربعين متراً.
فسبحان من جلَّت قدرته وعظمته: ﴿يُخرِجُ الحيَّ مِنَ الميِّتِ ويُخرِجُ الميِّتَ مِنَ الحيِّ﴾ [الروم:١٩].

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم ص (٢٢٥).

(٣) قال الحافظ ابن حجر في قوله ﷺ في الكسوف: « آية من آيات الله » قال: «أي الدالة على وحدانية الله وعظيم قدرته» ا.هـ فتح الباري (٦١٤/٢).

وقال العلامة الكرماني: «أي علامات القيامة أو علامات قدرة الله» ا.هـ الكواكب الدراري (١٢٢/٦).

(٢) الزّلازل تَخْويف وَعِظة مِن اللّه لِعِبَادِه:

قال العلامة ابن بطّال: «ظهور الزّلازل والآيات وَعيد من الله لأهْل الأرض، قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء:٥٩] »[١].

قال قتادة: «إن اللّه تعالى يُخوّف النّاس بما شاء من الآيات لعلّهم يَعْتَبِرونَ ويذكرون ويرْجِعُون، ذَكَرَ لنا أن الكوفة رجفت في عهد ابن مسعود، فقال: أيُّها النّاس إنّ ربّكم يَسْتَعْتِبكم فَاعْتبوه »[٢].

وعن أبي مُوسَى رضي الله عنه عن النّبي ﷺ قال- لما كسفَتَ الشّمس-:

« هذه الآيَات الّتي يُرْسِل الله لا تَكُونُ لِموتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِه، ولَكِن يُخوّف الله بِهَا عِبَادَه....»[٣].

وفي حديث أبي بكرة رضي الله عنه: « إنّ الشّمسَ وَالقَمَرَ آيَتَانِ مِن آيَاتِ الله لا يَنْكَسِفَانِ لِموْتِ أحدٍ، ولَكن اللّهَ تَعَالى يُخَوِّفُ بِهِمَا عِبَادَهُ »[٤].

قال الحافظ ابن حجر: «قوله يُخوّف: فيه رَدّ على من يَزعم من أهل الهيئة أنّ الكُسوف أمْر عادي لا يتأخر ولا يتقدّم؛ إذ لو كان كما يقولون لم يكن في ذلك تَخْويف، ويَصير بمنزلة الجذر والمد في البحر» ا.هـ [٥].

وقد ظن بعض الناس أن الحسابات العلمية والأسباب التى يتكلم فيها أهل الاختصاص تعنى أنه لا حكمة من وراء ذلك، وهذا خطأ واضح واعتقاد فاسد.

قال العلامة ابن دقيق العيد: «في قوله ﷺ: **يُخَوِّفُ اللّه بهما عباده** إشارة إلى

---

(١) الكواكب الدراري للكرماني (١٢٤/٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٤٨/٣). فاعتبوه: يطلبكم للرجوع عن الإساءة واسترضائه فافعلوا ذلك.

(٣) البخاري (١٠٥٩) ومسلم (٩١٢) (٢٤).

(٤) البخاري (١٠٤٨).

(٥) فتح الباري (٦٢٤/٢).

أنه ينبغي الخَوف عند وقوع التَّغيرات العُلوية.

وقد ذكر أصحاب الحساب لكسوف الشَّمس والقمر أسباباً عادية. وربما يعتقد مُعْتقد أنَّ ذلك ينافي قوله عليه السلام: «يُخَوِّفُ الله بهما عباده» وهذا الاعتقاد فاسد؛ لأنَّ لله تَعَالى أفْعالاً على حسب الأسباب العادية، وأفْعالاً خارجة عن تلك الأسباب، فإنَّ قُدْرته تعالى حاكمة على كل سَبَّب ومسبب، فيقطع ما شاء من الأسباب والمسببات بعضها عن بعض.

فإذا كان ذلك كذلك فأصحاب المراقبة لله تعالى ولأفعاله، الذين عقدوا أبصار قلوبهم بوحدانيته، وعموم قدرته على خرق العادة، واقتطاع المسببات عن أسْبَابها إذا وقع شيء غريب حَدَثَ عندهم الخوف لقوَّة اعتقادهم في فعل الله تعالى ما شاء، وذلك لا يَمْنَع أن يكون ثمة أسباب تَجْرى عليها العادة إلى أن يشاء الله تعالى خرقها، ولهذا كان النَّبى ﷺ عند اشتداد هبوب الريح يتغير ويَدْخل ويخرج خشية أن تكون كريح عاد، وإن كان هبوب الريح مَوْجُوداً في العادة.

والمقصود بهذا الكلام: أنْ يُعْلم أن ما ذكره أهل الحساب من سبب الكسوف: لا يُنَافي كون ذلك مُخَوِّفًا لعباد الله تعالى، وإنَّما قال النَّبى ﷺ هذا الكلام لأنَّ الكسوف كان عند موت ابنه إبراهيم، فقيل: إنَّها إنما كُسِفَت لموت إبراهيم فردَّ النَّبى ﷺ ذلك» اهـ [1] .

وهكذا نقول في الزَّلازل: أن ما يذكره علماء الأرض من أسْبَابِ للزَّلازل لا يُنَافي كون ذلك مُخَوِّفًا لعباد الله تعالى من بأْسِه وسطوته وغَضَبه وانتقامه.

* ومما يدل على أن مثل هذه الآيات من الزلازل وغيرها إنما هى تخويف للعباد وتَحْذير لهم من سطوته ما جاء عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «كانَت الرِّيح

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (٣٤٩/١، ٣٥٠).

الشّديدة إذا هبت عُرف ذَلكَ في وَجْه النّبي ﷺ »[١]. قال الحافظ ابن حجر: «لما كان هبوب الريح الشديدة يوجب التّخوّف المُفْضِي إلى الخُشوع والإنابة كانت الزّلزلة ونحوها من الآيات أوْلى بذلك، لا سيما وقد نص في الخَبر على أن أكثر الزّلازل من أشراط السّاعة » اهـ[٢].

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: «كَانَ النّبى ﷺ إذَا رأى مَخيلةً في السّماء أقْبَلَ وأدْبَر ودَخلَ وخَرجَ وتَغيّرَ وَجْهُهُ، فإذَا أمْطَرَت السّماء سُرّى عنه، فَعرّفَته عائشة ذلك، فقال النّبي ﷺ: وَمَا أدْري لَعَلّهُ كَمَا قَالَ قَوْمُ عَادٍ: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ ﴾ الآية [الأحقاف: ٢٤] »[٣].

وفي الحديث: تَذكُّر مَا يذْهَل المرءُ عَنْه مما وَقَعَ للأمَم الخَالية، والتحْذير من السّيْر في سَبيلهم خَشْية من وُقوع مثل مَا أصَابهم[٤].

* وتأمّل معى حال القلوب عند وقوع الزّلازل والآيات وقد دَبّ فيها الخوف والهلع وحالها بعد انكشاف الضّر، ففيه إشارة للمسلم وتَنبيه لَهُ على سُلوك طَريق الخوف والرّجاء[٥].

(٣) قد تكون الزلازل غضباً وانتقاماً من الكافرين:

ينبغي أن يعلم أن الذّنوب التى أهلك الله بها الأمم على قسمين:

(أ) مُعَاندة الرسل وجَحْد رِسَالاتهم.

---

(١) البخاري (١٠٣٤).

(٢) فتح الباري (٢/٦٠٥).

(٣) البخاري (٣٢٠٦) ومسلم (٨٩٩) (١٥). مَخِيلة: هي السّحابة التي يخال فيها المطر.
سُرّي عنه: أى كُشِفَ عنه.

(٤) فتح الباري (٦/٣٤٨).

(٥) راجع فتح الباري (٦/٦١٩).

(ب) الإسرافُ في الفجور والذُّنوب.

فالقسم الأول: يُهْلِكُ الله تعالى أصحاب هذا القسم ويعذبهم عذاب استئصال وإبادة كما فعل بقوم نوح وعاد وثمود ولوط وشعيب وأضرابهم.

قال الله تعالى: ﴿ **فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

والقسم الثاني: يُصابون بالمَجَاعات والجوائح والأمراض والاختلاف والزّلازل وغير ذلك وقد يكون مع ذلك موت وقد لا يكون، وعذاب هذه الأمة الإسلامية من هذا القَبيل، فإن الله تعالى لا يَستأصِلُها ولا يُهلكها بالمرّة كما كان يفعل مع الأجيال السابقة ولكنه يعذبهم بأنواع عديدة متنوعة من البلاء وسيأتي الكلام على عذاب المسلمين بالزلازل والبلايا في الدُّنيا.

وعذاب الله تعالى وعقابه للأمم لا يَختَصُّ بنوع واحد ولا لون معين بل جرت سُنّة الله تعالى في تنويعه على ألوان مختلفة ومتنوعة، فهو قد يكون صاعقة، أو غرقاً، أو فَيضاناً، أو ريحاً، أو خَسفاً، أو قَحْطاً ومَجَاعة وارتفاعاً في الأسعار، أو أمْراضاً، أو ظلماً وجَوراً، أو فِتناً بين الناس واختلافاً، أو مَسْخاً في الصُّور، أو مطراً بالحجارة أو رَجْفة.

فالكلُّ عِقَابٌ من الله تعالى وعذاب يُرسله على من شاء تأديبه أوردعه من عباده، وقد جاءت هذه الأنواع في القرآن والسُّنّة.

وما يَعْنينا في هذا المقام هو فيمن أُهْلِكَ بالزّلْزلَة وهذه بعض النماذج:

*** هَلاكُ ثمود قوم صالح بالرّجفة والزّلزلة والصيحة:**

قصَّ الله سبحانه وتعالى علينا في كتابه الكريم كيفية هلاك ثمود لما كذبوا نبّي الله صالح وعقروا الناقة في غير موضع:

فقال: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [الأعراف:٧٨].

وقال: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [هود:٦٧].

وقال: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٨٣].

وقال: ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ [الشعراء: ١٥٨].

وقال: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النمل: ٥٢].

وقال: ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [فصلت:١٧].

وقال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ [القمر: ٣١].

وقال: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ [الشمس: ١٤].

وملخص ما ذكره المفسرون في ذلك: أنهم لما كذبوا صالحاً وعقروا النّاقة واستعجلوا العذاب قال لهم نبي الله صالح: ﴿تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف:٧٣].

فلم يُصَدِّقوه بل لما أمسوا هموا بقتله، وأرادوا - فيما يزعمون - أن يُلْحقوه بالناقة: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ [النمل: ٤٩]، أي لنَجْبسنّه في داره مع أهله فَلَنَقْتُلَنَّه، ثم نجحدن قتله ولننكرنّ ذلك إن طالبَنَا أولياؤه بدمه، ولهذا قالوا: ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [النمل:٤٩].

قال الله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ * فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ * فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [النمل: ٥٠-٥٣].

وذلك أن الله تعالى أَرْسَل على أُولئك النَّفر الذين قصدوا قتْل صالح حجارة رَضَخَتهم فأهلكهم سلَفاً وتَعْجيلا قبل قومهم.

وأَصْبَحت ثمود في اليوم الأول من أيام النَّظرة ووجوههم مُصْفرّة، كما أنذرهم

صالح عليه السّلام. فلما أمسوا نادوا بأجمعهم: ألا قَدْ مَضَى يوم من الأجل، ثم أصبحوا في اليوم الثّاني من أيام التّأجيل ووجوههم محمرة، فلما أمسوا نادوا: ألا قَدْ مَضَى يومان من الأجل، ثم أصبحوا في اليوم الثالث ووجوهم مسودّة فلما أمسوا نادوا: ألا قد مضى الأجل.

فلما كانت صبيحة اليوم التّالى تحنّطوا وتأهّبوا وقعدوا ينتظرون ماذا يحل بهم من العذاب والنّكال والنّقمة لا يدرون كيف يفعل بهم، ولا من أى جهة يأتيهم العذاب!! فلما أشرقت الشّمس جاءتهم صيحة من السّماء من فوقهم وَرَجْفَة من أسْفَل منهم فَفَاضت الأرْواح وَزَهقت النُّفوس وَسَكنت الحركات وخَشَعَت الأصوات، وحَقّت الحقائق، فأصبحوا في دارهم جاثمين، جُثثًا لا أرواح فيها ولا حراك بها.

قال الله تعالى: ﴿كَأَن لَمْ يَغْنَوا فِيهَا﴾ [هود: ٦٨]، أى لم يقيموا فيها في سَعَة وَرِزْق وغناء ﴿أَلاَ إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُم أَلا بُعْدًا لِثَمُودَ﴾ [هود: ٦٨] أى نادى عليهم لسان القدر بهذا [١].

والشّاهد من القصة: أنّهم مع هلاكهم بالصّيحة من السماء جاءتهم الرجفة من أسْفَل منهم.

والرّجفة: هى التّحرك والاضْطِرَاب الشّديد، والرّجفة الزّلزلة، وَرَجَفَت الأَرْضُ تَرْجُفُ رَجْفًا: اضْطَرَبَتْ. وَرَجفَ البَلَدُ إذا تزَلْزَلَ، وقد رَجَفَتِ الأَرْضُ وأَرْجَفَتْ وأُرْجِفَت إذَا تزَلْزَلَتْ [٢].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١/١٢٨، ١٢٩).

(٢) لسان العرب مادة ر. ج. ف

*** هلاك مدين- قوم شعيب - بالرّجفة والصّيحة وعذاب يوم الظُّلة:**

وكذلك قص الله علينا فى القرآن الكريم كيفية إهلاكه لمدين لما كذّبوا نبى الله شعيب بعد أن نصح لهم وبلغهم ما أرسل به إليهم.

ثم استفتح عليهم واستنصر ربه على قومه الذين جحدوه وكفروه وخالفوه فجاءهم عقاب الله.. وياله من عقاب!!

قال الله تعالى: ﴿ **فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصبحُواْ في دَارِهم جَاثِمِينَ**﴾ [الأعراف: ٩٠].

فذكر سبحانه فى سورة الأعراف أنهم أخذتهم رجفة، أى رجفت بهم أرضهم وزلزلت زلزالاً شديداً، أزهقت أرواحهم من أجسادهم، وصيّرت حيوان أرضهم كجمادها، وأصبحت جثثهم جاثية، لا أرواح فيها ولا حركات بها، ولا حواس لها.

وقد جمع الله عليهم أنواعاً من العقوبات، وصنوفاً من المثلات، وأشكالا من البليات؛ وذلك لما اتصفوا به من قبيح الصفات، سلط الله عليهم رجفة شديدة أسكتت الحركات، وصيحة عظيمة أخمدت الأصوات، وظلة أرسل عليهم منها شرر النار من سائر أرجائهم والجهات.

ولكنه تعالى أخبر عنهم فى كل سورة بما يناسب سياقها ويوافق طباقها.

١ - في سياق سورة الأعراف: أرجفوا نبى الله وأصحابه، وتوعدوهم بالإخراج من قريتهم، أو ليعودنَ في ملتهم ، فقال تعالى: ﴿ **فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ في دَارِهِم جَاثِمِينَ** ﴾ [الأعراف: ٩١]، فَقَابَلَ الإرجاف بالرَّجفة، والإخَافَة بالخِيفة، وهذا مناسب لهذا السِّياق ومتعلق بما تقدمه من السياق.

٢ - وأما فى سورة هود: فذكر أنهم أخذتهم الصيحة، فأصبحوا فى ديارهم جاثمين، وذلك لأنهم قالوا لنبيّ الله على سبيل التهكم والاستهزاء والتنقص: ﴿ **أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نترُكَ مَايَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نفعَلَ في أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ**﴾ [هود: ٨٧]. فناسب أن يذكر الصَّيحة التي هي كالزَّجر عن تعَاطِي هذا

الكلام القبيح، الذي واجهوا به هذا الرسول الكريم الأمين الفصيح فجاءتهم صيحة أسكتتهم مع رجفة أسكنتهم.

٣- وأما في سورة الشعراء: فذكر أنه أخذهم عذاب يوم الظُّلَّة، وكان ذلك إجابة لما طلبوا وتقريباً إلى ما إليه رغبوا، فإنهم قالوا: **﴿إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ* وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ* فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ* قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾** قال الله تعالى وهو السميع العليم: **﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾** [الشعراء: ١٨٥-١٨٩].

ذكروا أنه أصابهم حر شديد، وأسكن الله هبوب الهواء عنهم سبعة أيام فكان لا ينفعهم مع ذلك ماء ولا ظل، ولا دخولهم فى الأسراب، فهربوا من محلتهم إلى البرية، فأظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها ليستظلوا بظلها فلما تكاملوا فيها أرسلها الله ترميهم بشرر وشهب، ورجفت بهم الأرض وجاءتهم صيحة من السماء فأزهقت الأرواح وخربت الأشباح.

ونجى الله شعيباً ومن معه من المؤمنين كما قال تعالى وهو أصدق القائلين: **﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ* كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾** [هود: ٩٤، ٩٥] (١).

وعلى كل فالزلازل قد تكون عقاباً من الله تعالى :

وقد قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «إِنَّ هَذَا الرَّجْفَ شَيْءٌ يُعَاقِبُ اللهُ بِهِ العِبَادَ» (٢).

---

(١) البداية والنهاية (١/١٧٦ : ١٧٨).

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم (٥/٣٠٤، ٣٠٥) وراجع ص (٤٣).

* ومما يلتحق بالزَّلازل: الخَسْفُ والمراد به ذَهابُ المكَان ومن عَلَيْه وَغيْبوبته فى بَطْن الأَرْض. وخسف بالرجل وبالقوم إذا أخذته الأرض ودخل فيها والخسف: سُؤوخ الأَرض بما عليها [1] كما حكى الله تَعَالى عن قارون ومَا حَلَّ به فقال: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١].

قال الشيخ عبد الله التليدى: «وهذا الخسف قد حصل فى عصرنا مرات متعددة فى جميع الأقطار وكل أنحاء المعمورة، بل لاتمر بضعة أشهر بدون أن يقع فى بعض البلاد ولعل ما نزل بمدينة أكادير بمغربنا الأقصى العربى سنة ١٣٨٠هـ من أعظم الخسوفات التى شاهدتها الإنسانية فى عصرنا الحاضر، وما ذلك إلا لما كان ولايزال فى تلك المدينة من الفجور وأنواع الفسوق واللعب واللهو وقد حدثنا عنها أنها فاقت أو كادت تفوق كل مدن المغرب فى تلك الميادين المجونية، ولذلك أنزل الله وتعالى بها ذلك الخسف العظيم والزلزال الفظيع المدهش» [2].

(٤) قد تكون الزَّلازل عَذَابًا فى الدُّنيا وَتَطْهِيرًا وَرَحْمَةً للْمسْلمين:

فقد أخبرنا الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى بأن هذه الأمة أمة مرحومة ليس عليها عذاب فى الآخرة وأن الله تعالى جعل عذابها فى الدنيا: الفتن والزَّلازل والقتْل.

فعن أبى موسى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أُمَّتي هذه أُمَّةٌ مَرْحُومة، لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَاب فِي الآخِرَة، وعَذَابُهَا فى الدُّنْيا: الفِتَن وَالزَّلازِل وَالقتلُ» [3].

(١) لسان العرب مادة: خ. س. ف.

(٢) أسباب هلاك الأمم ص (١٠٨، ١٠٩).

(٣) حَدِيثٌ صَحِيحٌ: رواه أبو داود (٤٢٧٨) وأحمد (٤/٤١٠، ٤١٨) والحاكم (٤/٤٤٤) وقال: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبى وحسن إسناده الحافظ ابن حجر فى بذل الماعون وصحّحه الألباني لطرقه فى السلسلة الصحيحة (٩٥٩).

قال العلامة القاري: «بل غَالبُ عَذَابهم أنَّهم مَجْزيون بأعْمَالهم في الدُّنيا بالمحَن والأمْرَاض وأنواع البلايا كما حقق في قوله تعالى: ﴿مَن يعْمَل سوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣] » اهـ [(١)].

(٥) قد تكُون الزّلازل ابْتلاءً لأهْل القتْل بِالهَدْمِ :

قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشيْءٍ مِنَ الخَوْف وَالجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأمْوَالِ وَالأنفسِ وَالثَّمرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُصِيبَةٌ قَالوا إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِم صَلوَاتٌ مِن رَبِّهِم وَرَحمة وَأُولَئِكَ هم المُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤-١٥٦].

وقد دلت الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ أن صاحب الهدم ومن وقع عليه البناء يرجى له الشهادة.

١- فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغرق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله» [(٢)].

قال ابن التين: « هذه كلها ميتات فيها شدة تفضل الله على أمة محمد ﷺ بأن جعلها تمحيصاً لذنوبهم وزيادة في أجورهم يبلغهم بها مراتب الشهداء» اهـ [(٣)].

٢- وعن جابر بن عتيك مرفوعاً: «الشهداء سبعة سوى القتل في سبيل الله: وذكر منهم: «والذي يموت تحت الهدم شهيد» [(٤)].

---

(١) عون المعبود (١١/٣٥٩).

(٢) البخاري (٢٨٢٩) ومسلم (١٩١٤) (١٦٤).

قال القاري في المرقاة (٢/٣٠٣): «المطعون أي الذي ضربه الطاعون ومات به والمبطون: أي الذي يموت بمرض البطن» اهـ والغرق هو الذي يموت غريقاً في الماء وصاحب الهدم من يموت تحته.شرح النووي (١٣/٦٣).

(٣) فتح الباري (٦/٣٤٨).

(٤) **حديث صحيح**: رواه أبو داود (٣١١١) والنسائي (١/٢٦١) شرح النوويّ (١٣/٦٣). والحاكم (١/٣٥٢) وصححه ووافقه الذهبي وصححه الألباني في أحكام الجنائز ص (٤٠).

(٦) هَذِهِ الزّلازل تُذَكّرنا بيوم الزَّلْزَلةِ الكُبرى:

﴿ يَوْمِ القِيَامَةِ لارَيْبَ فِيهِ ﴾ [النساء: ٨٧]

﴿ يَوْمَ الحَسْرَةِ إذْ قُضِيَ الأمر وَهُمْ فى غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [مريم: ٣٩].

﴿يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ القُلُوبُ لَدَى الحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ﴾ [غافر: ١٨].

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦].

إِنّه يوم الزّلزلة... يوم الرّجفة..

ذلك الدّمار الكوْني الشّامل الرّهيب الذى يُصيب الأرض وجبالها والسّمَاء ونجومها وشَمْسَها وقَمَرَها.

الأرْض تُزَلْزَل وتُدَكُّ، والجبال تُسَيَّر وتُنْسَف ، والبحار تفجر وتسْجَر، والسّماء تَتَشَقّق وتمور، والشّمس تُكوّر وتَذْهب، والقمر يُخْسَف، والنّجوم تنْكدر ويذهب ضَوْؤها، وينْفَرِط عقدها (١).

وإذا كانت زلازل الدنيا تُدَمّر كثيراً من مُقَوّمات حياتنا وتقع فى أجزاء محدودة وتترك خلفها حصاداً من الخسائر المُروِّعَة الفادحة! فما بالنا بزلزلة الأرْض كُلّها؟!

تلك الزلزلة التى لا جبْر فيها لِنقْص أعْمال البَشَر، فلا معين ولا مُنقِذَ إلا الواحد القهّار.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاس اتَّقُواْ رَبَّكُم إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيم* يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيد ﴾ [الحج: ١، ٢].

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٦١٩/٢): «ومن حكمة وقوع الكسوف تبين أنموذج ما سيقع فى القيامة، وصورة عقاب من لم يذنب» اهـ قلت: وكذلك الشأن فى الزلازل فهى أنموذج وإشارة للزلزلة العظيمة والرجفة المروعة.

إنه والله لشئ عظيم!!

﴿إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا * وَبُسَّتِ الجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾ [الواقعة: ٤-٦].

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلاً﴾ [المزمل: ١٤]، أى تتحول الجبال الصلبة القاسية إلى رمل ناعم.

مَثّل لنفسك أيها المغرور ... يوم القيامة والسَّماء تَمُور
إذ كُوِّرت شَمْسُ النَّهار وأُدْنيت ... حتَّى على رأس العباد تَسير
وإذا النجوم تساقطت وتَناثرت ... وتَبَدَّلت بعد الضِّياء كُدور
وإذا البحار تَفَجَّرت من خوفها ... ورأيتها مثل الجحيم تَفُور
وإذا الجبال تَقَلَّعَتْ بأُصُولها ... فرأيتها مثل السَّحاب تسير
وإذا العشار تعطَّلت وتَخَرَّبت ... خلت الدِّيار فما بها مَعْمُور
وإذا الوحوش لدى القيامة أُحْشِرت ... وتقول للأملاك أين تَسير
وإذا تقاة المسلمين تَزَوَّجت ... من حُورِ عِينٍ زَانَهنَّ شُعُور
وإذا المؤودة سُئلت عن شأنها ... وبأى ذنب قَتْلها ميسور
وإذا الجليل طوى السَّماء بيمينه ... طَيَّ السِّجل كتابه المَنْشُور
وإذا الصَّحائف نُشِرت فَتَطايرت ... وتَهتَّكت للمؤمنين سُتُّور
وإذا السَّماء تَكَشَّطت عن أهلها ... ورأيت أفلاك السَّماء تدور
وإذا الجحيم تسعَّرت نيرانها ... فلها على أهل الذُّنوب زفير
وإذا الجنان تَزَخْرَفَت وتَطَيَّبت ... لفَتًى على طول البلاء صبُّور
وإذا الجنين بأمه متعلِّق ... يَخْشى القصَاصَ وقلبه مَذْعُور
هذا بِلا ذَنْبٍ يَخَاف جنينَةً ... كَيْف المُصِرُّ على الذُّنوب دُهور؟ [1]

---

(١) التذكرة للقرطبى ص (٢١٤).

إنَّ العُدَّة للنجاة في مثل هذا المَوْقف العظيم هي التَّقوى: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُم إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيم﴾ [الحج: ١].

هي: الوقاية والحماية من خطر هذا الهول العظيم.

وما أحسن تعريف طلق بن حبيب التَّابعي المشهور لها حيث قال: إذَا وَقَعت الفِتْنَة فَاتَّقوها بالتَّقوى. قالوا: وما التَّقوى؟ قال: «أَنْ تَعْمَلَ بطَاعَةِ الله على نُورٍ من الله، تَرْجُو ثَوَابَ الله، وأَن تترك مَعْصِيَةِ الله عَلَى نُورٍ من الله تَخَافُ عِقَابَ الله»[١].

وقيل لأبي الدَّرداء يوماً: إن أصحابك يقولون الشِّعر، وأنت ما حُفِظَ عنك شيءٌ منه، فأنشد:

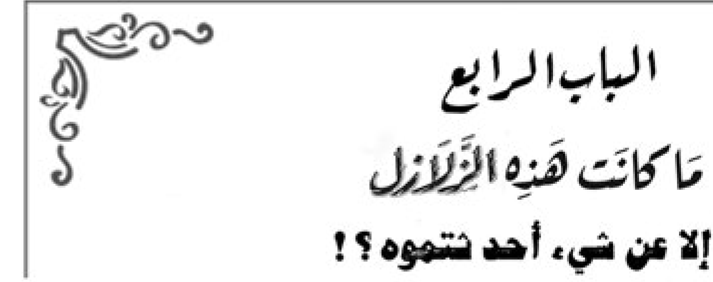
يُـرِيـد المَـرْءُ أَنْ يُؤْتَى مُنَـاه	وَيَأْبَى اللَّـهُ إلا مَـا أرَادَا
يَقُـولُ المَرْءُ فَـائِدَتِي وَمَالِـي	وَتَقْوَى الـلَّهِ أَفْضَلُ مَا اسْتَفَادَا[٢]

هذه هي التَّقْوى التي أُمِرْنا بها لِنَتَّقي بها زلزلة السَّاعة إنها شَيْءٌ عظيم!!

* * *

---

(١) أثرٌ صَحِيحٌ: أخرجه ابن المبارك في الزهد ص (٤٧٣) وأبو نعيم في الحلية (٦٤/٣) وابن أبي شيبة في المصنَّف (١٠٤٠٥) (١٧٠٠٩).
وإسْنَادُه صَحِيحٌ كما قال الألباني في تخريج الإيمان لابن أبي شيبة (٩٩).
قال الحافظ ابن القيم في الرِّسالة التَّبوكية ص (٢٨): «وهذا من أَحْسَنِ مَا قِيلَ في حَدِّ التَّقْوى» ا.هـ.
(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٢٥/١).



الباب الرابع

مَا كانَت هَذِهِ الزَّلَازِل

إلا عن شيء أحد نتموه ؟ !

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [1] [الشورى: ٣٠].

وقال سبحانه: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]

وقال سبحانه: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

وعن زينب بنت جحش رضى الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ دخل عليها يومًا فزعًا يقول: «لا إِلَهَ إِلا الله، وَيْلٌ للعرب مِن شرٍّ قد اقترب، فُتِحَ اليَوْمَ مِن رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْل هذِه» –وحلّق بإصبعيه الإبهام والتي تليها–. قالت زينب: فقلت: يارسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟! قال: «نعم، إذا كَثُرَ الخَبَث» [2].

وما أكثر الخبث بين ظهرانينا..

فتنٌ وبليّات، شرورٌ ومحدثات، وبدعٌ وضلالات..

شريعةٌ معطّلة، وانتهاكٌ لحرمات الله، ونقضٌ لعهوده ومواثيقه التي ألزم عباده الوفاء بها، والإعراضُ عن تنفيذ أحكامه والقضاء بها بين العباد واستبدالُ غيرها بها.

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (١١٦/٤): «أي مهما أصابكم أيها الناس من المصائب فإنما هي عن سيئات تقدمت لكم» ا هـ.

(٢) رواه البخاري (٧١٣٥) ومسلم (٢٨٨٠) (٢).

قال العلامة ابن العربي: «فيه البيان بأن الخير يهلك بهلاك الشرير إذا لم يُغيِّر عليه خبثه، وكذلك إذا غير عليه لكن حيث لا يجدي ذلك ويُصِرُّ الشرير على عمله السيء، ويفشو ذلك ويكثر حتى يَعُمَّ الفساد فيهلك حينئذ القليل والكثير، ثم يُحشر كل أحد على نيته» ا هـ فتح الباري (١١٧/١٣).

*** الذنوب والمعاصي سبب كل مصيبة وبلاء:**

وهل في الدنيا والآخرة شر وداء إلا وسببه الذنوب والمعاصي ؟!

فعياذاً بك اللهم من مخالفة أمرك وارتكاب نهيك!!

فما الذى أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال؟

وما الذي سلط الريح على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نخل خاوية، ودمرت مامرت عليه من ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابهم، حتى صاروا عبرة للأمم يوم القيامة؟

وما الذي أرسل على قوم ثمود الصَّيحة حتى قطَّعت قلوبهم في أجوافهم، وأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين ميتين هامدين باركين على ركبهم لاصقين بالأرض؟!

وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبح كلابهم، ثم قلبها عليهم، فجعل عاليها سافلها، فأهلكهم جميعاً، ثم أتبعهم حجارة من السماء أمطرها عليهم، فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على أمة غيرهم، ولإخوانهم أمثالها، وما هي من الظالمين ببعيد؟!

وما الذي أرسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظلل، فلما صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم ناراً تلظى؟!

وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر، ثم نقلت أرواحهم إلى جهنم فالأجساد للغرق، والأرواح للحرق؟!

وما الذي خسف بقارون وداره وماله وأهله؟!

وما الذي أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات ودمَّرها تدميراً؟!

وما الذي أهلك قوم صاحب يس بالصيحة حتى خمدوا عن آخرهم؟!

وما الذي بعث على بني اسرائيل قوماً أولى بأس شديد، فجاسوا خلال الديار

وقتلوا الرجال، وسبوا الذرية والنساء، وأحرقوا الديار ونهبوا الأموال، ثم بعثهم عليهم مرة ثانية فأهلكوا ما قدروا عليه وتبروا ما علوا تتبيراً؟ [(١)]

ومن آثار الذنوب والمعاصي: أنها تحدث فى الأرض أنواعاً من الفساد فى المياه والهواء والزروع والثمار والمساكن، قال تعالى: ﴿**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون**﴾ [الروم: ٤١] قال ابن زيد: الذنوب.

أراد أن الذنوب سبب الفساد الذى ظهر، وإن أراد أن الفساد الذى ظهر هو الذنوب نفسها فيكون اللام فى قوله: ﴿**ليذيقهم بعض الذي عملوا**﴾ [الروم: ٤١] لام العاقبة والتعليل.

وعلى الأول: فالمراد بالفساد النقص والشر والآلام التى يحدثها الله فى الأرض عند معاصي العباد، فكلما أحدثوا ذنباً أحدث لهم عقوبة، كما قال بعض السلف: كلما أحدثتم ذنباً أحدث الله لكم من سلطانه عقوبة.

والظاهر – والله أعلم– أن الفساد المراد به الذنوب وموجباتها، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿**ليذيقهم بعض الذي عملوا**﴾ [الروم: ٤١] فهذا حالنا وإنما أذاقنا الشئ اليسير من أعمالنا، فلو أذاقنا كل أعمالنا لما ترك على ظهرها من دابة [(٢)] اهـ .

وقال الحافظ ابن القيم أيضاً: «ومن تأثير المعاصي فى الأرض: ما يحل بها من الخسف والزلازل ويمحق بركتها، وقد مر رسول الله ﷺ على ديار ثمود، فمنعهم من دخول ديارهم إلا وهم باكون، ومن شرب مياههم، ومن الاستقاء من آبارهم، حتى أمر أن يعلف العجين الذى عجن بمياههم للنواضح لتأثير شؤم المعصية فى الماء.

---

(١) الجواب الكافى لابن القيم ص (٨٥، ٨٦).

(٢) الجواب الكافى ص (١٢٤ : ١٢٦).

وقد ذكر الإمام أحمد في مسنده في ضمن حديث قال: (وُجِدَ في خزائن بني أمية حبة حنطة بقدر نواة التمر، وهي في صرة مكتوب عليها: كان هذا ينبت في زمن العدل) وكثير من هذه الآفات أحدثها الله سبحانه وتعالى بما أحدث العباد من الذنوب» اهـ [١].

تحذير أمير المؤمنين عمر بن الخَطَّاب من التغيير والتبديل:

عن صفية بنت أبي عبيد قالت: زُلْزِلَتِ الأَرْضُ عَلَى عَهْدِ عمر حتى اصْطَفَقَتِ السُّرر فخطب عمر النَّاس فقال: أَحْدَثْتُم !! لَقَدْ عَجَّلْتم، لَئِن عَادَت لأُخرجَنَّ من بين ظَهْرانيكم!!» .

وفي رواية لابن أبي الدنيا: «تَزَلْزَلَت الأَرْض عَلَى عهد عمر فقال: يَا أيها النَّاس مَا كَانَت هَذه الزَّلْزَلَة إِلا عَن شيءٍ أَحْدَثْتُموه، والذي نَفْسِي بِيَدِه إِن عَادَت لا أُسَاكِنُكُم فِيهَا أَبدًا » [٢].

نعم والله! ما كانت هذه الزَّلزلة إلا عن شيء أَحْدَثْناه !!

وما أكثر المُحْدَثَات والمُخالفَات !!

إنَّ ذُنوبًا جَسيمة جَلَبَتْ عَلَيْنا هذه الكَوَارِث وَالمِحَن والمصائب والويلات التي تُهَدِّدُنا وتُهَدِّد العالَم أَجْمع بالخراب، وتنبئنا بدَوَاهٍ مُقْبِلَة وبعقاب عظيم مُرْتَقَب.

---

(١) الجواب الكافي ص (١٢٤ : ١٢٦).

(٢) أثر صحيح: رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٤٧٣/٢) والبيهقي في سننه (٣٤٢/٣) وإسناده صحيح.
وأما رواية ابن أبي الدنيا فهي مرسلة كما قال السيوطي في كشف الصلصلة (٤٤) إلا أنها تشهد للرواية الأولى.
اصطفقت السرر: أي اضطربت وهو افتعل من الصفق.

فكل أنواع المعاصى والجرائم والفُسُوق والفُجُور على اختلاف أشكالها وألوانها بَادِيَة بأَجْلَى مظهر عرفته البشرية! وذلك لاستيطان الهوى على النُفوس، وتَوَغُّل الناس في الانهماك في شَهَوات بُطُونهم وفُرُوجهم أو مَا يَؤُول إلى ذلك، مع اقتفائهم أَثَر أوروبا والغرْبيين الهَالِكين.

* احذروا هذه الذُنُوب !!

ولا يفوتنا أن نُنَبِّه إلى طرف من هذه الذُنوب والمعَاصِي التي تَجْلِب عَلَيْنا غَضَب الجبَّار فيَحِل بنا البلاء والدمار، فمن ذلك:

١- ترك تحكيم شريعة الله: واستبدالها بالقوانين الوضعية والأنظمة البشرية، فالواجب على عامَّة المسلمين وأُمرائهم وحكامهم أن يتَّقوا الله عز وجل ويُحكِّموا شريعته فى بلدانهم ويَقُوا أنفسهم ومَنْ تَحت وِلايتهم عَذَاب الله فى الدنيا والآخرة وأن يعتبروا بما حلَّ فى البلدان التى أعرضت عن حكم الله وَسَارَت فى ركاب من قلَّد الغربيين من الاختلاف والتَّفرق وضُروب الفتن وقِلَّة الخيرات والمعيشة الضَّنك.

٢- هجر كتاب الله تعالى: سواء هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه واستبدال ذلك بسماع الشَّيطان من الأغاني الخليعة الهابطة التى تحض على الفواحش.

أو هجر العمل به والوُقوف عند حَلاله وحَرَامه، أو هجر تحكيمه والتَّحاكم إليه أو هجر تَدَبُّره وتَفَهُّمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه، أو هجر الاستشفاء والتَّداوي به فى جميع الأمراض والأدواء. وكل هذا داخل فى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَارَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتخَذُوا هَذَا القُرآن مَهْجُوراً﴾ [الفرقان: ٣٠] (١).

(١) راجع الفوائد لابن القيم (٨٢) فى الكلام على أنواع هجر كتاب الله.

٣- ترك الصَّلاة وإضاعتها: سواء من تركها بالكلية فلم يسجد لله قط أو من يضحك على نفسه بأن يصلى الجمعة فقط وكذلك من يضيع أركانها وشروطها وواجباتها وسننها وكذلك من يترك إقامتها فى الجماعة ويهجر مساجد رب العالمين ويسمع الأذان ولا يلبى النداء، وقد قال الله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِم خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاة واتبعُوا الشَّهَوات فَسَوْفَ يَلْقَونَ غيّاً ﴾ [مريم: ٥٩].

٤- منع الزَّكاة: وهذا ذَنْب عَظيم فيه إطَاحَة بركن من أركان الإسلام وللأسف كثير من المسلمين اليوم ممن يملكون الأموال والعقارات وغير ذلك مما تجب فيه الزَّكاة ترك هذا الركن الركين إما جهلاً وإمَّا قصداً وبخلاً: فأما الجاهل- وما أكثر هؤلاء- يظن أن إيتاء الزكاة هو زكاة الفطر من رمضان فقط ونسي المسكين حق الله وحق عباده من زكاة المال والحبوب والثِّمار والأنعام والتجارة وغيرها.

وأمَّا البخيل الذى منعها قصداً وضناً بها فما أبْخَسَ حَظَّه! قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يكنزُونَ الذَّهَبَ وَالفضَّةَ وَلا ينفقُونَها فى سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيم* يَوْمَ يُحْمَى عليها فى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكوى بِهَا جِبَاهُهُم وَجُنُوبُهم وَظُهُورهُم هَذَا مَاكَنَزتم لأنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كنتم تكنِزُونَ ﴾ [التوبة: ٣٤].

وفى الحديث: «ولَم يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَموالِهم إلا مُنِعُوا القَطْرَ مِن السَّمَاء، ولَوْلا البَهَائم لم يُمْطَرَوا»[1].

٥- التَّعامل بالرِّبا: وياله من ذنب عظيم !!

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّه وَذَرُوا مَا بقى مِن الرِّبا إِن كنتم مُؤْمِنِين* فَإِن لَم تَفعَلُوا فَأْذَنُوا بِحربٍ من اللَّه ورَسُوله ﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩].

فأيُّ ذَنب فى المعاملة أعظم من هذا الجرم الذي يكون فيه فاعله محارباً لله ولرسوله ؟!.

---

(١) حَدِيثٌ صَحِيحٌ: رواه ابن ماجة (٤٠١٩) والحاكم (٤/٥٤٠) وحسنه الألباني من حديث ابن عمر فى السلسة الصحيحة (١٠٨).

ومع ذلك نرى المسلمين يتهافتون على المعاملات الرِّبوية فى البنوك لا سيما ربا النسيئة وهو الزِّيادة التى يأخذها البنك فى مقابلة دينه أو ما يسمى بالفائدة فهى الرِّبا بعينه وهو الذى كان معهوداً فى أيام الجاهلية قبل الإسلام وفيه نزلت تلك الآيات القرآنية وجاءت القَوَارع الإلهية تُنَدِّد على تعاطيه بمآله ومصيره وتُهدِّد المتعاملين به وتزجرهم.

فالمُرابون على خطرٍ عظيم إن لم يرْعَوُوا عما فيه ويتوبوا إلى الله ويَرُدُّوا مظالم الناس ثم إن الملامة فى الرِّبا ليست قاصرة على متعاطيه فقط بل هى عامة فى كل من يُشَارك فيه بأىِّ وجه كان، ففي الحديث: «لَعَنَ رسول الله ﷺ آكل الرِّبا ومُوكِله وشَاهِدَيْه وكَاتِبه هُم فِيه سَوَاء»[1].

٦- الفـواحش والزِّنا: ذلك الخُلُق الفتَّاك الهَدَّام الذى يُحْدِثُ بالمجتمعات الخراب والدمار. وقد جرت سنَّة الله سبحانه فى خلقه أنَّه عند ظهور الزِّنى يغضب الله سبحانه ويَشْتَدُّ غضبه، فلابد أن يُؤَثِّر غضبه في الأَرض عُقوبة[2]، وفى الحديث: «لَمْ تَظْهَر الفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حتَّى يُعْلِنُوا بِهـا إلا فَشَا فِيـهم الطَّاعُون والأَوْجَاع التى لم تكن مَضَت فى أَسْلافهم الَّذِين مَضوا *»[3].

وفاحشة الزِّنا –والعياذُ بالله– وظهورها بيننا وفشوها واضح لكل ذى عينين، وقد شارك فى إعلانها تجار إشاعة الفاحشة فى المجتمع عن طريق ما يسمى بالفن! وما

---

(١) رواه مسلم (١٥٩٨) (١٠٦) من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه.

(٢) الجواب الكافى لابن قيم الجوزية ص (٢٨٥).

(٣) **حديث صحيح** : تقدم تخريجه وهو جزء من حديث ابن عمر السابق.

وفى حديث بريدة مرفوعاً: «ما ظهرت فاحشة فى قوم قط إلا سلط الله عز وجل عليهم الموت» رواه الحاكم (١٢٦/٢) وصححه الذهبى وهو كما قالا.

* ومرض الإيدز يفتك صباح مساء بهذه المجتمعات الغربية المنحلة.

يعرضونه في السينما وغيرها من أفلام هي الفاحشة بعينها، نعوذ بالله من سخطه وعقابه، وكذا مجلاتهم وما يصورون فيها من فواحش دون حياء أو خجل!

٧- **الأغاني الخليعة واللهو الماجن**: الذي يَصُدُّ عن ذكر الله ويُفْسد القُلوب إفساداً ما بعده من إفساد ويحمل لِوائه سَفَلَة القوم وَرَذَالتهم ممَّن تركوا منَازل أَهليهم وَفَشلوا في التَّعليم فتجد الواحد منهم يأتي بالحركات كأنهم القُرود مما يدل على الفطرة المنتكسة ومع ما ينتظره من عِقاب الله في الدُّنيا قبل الآخرة.

قال الحافظ ابن القيم: «وقد تَظَاهرت الأخبار بوقُوع المَسْخ في هذه الأُمَّة، وهو مُقَيَّد في أكثر الأحاديث بأَصْحَاب الغِناء وشُرْب الخمر، وفي بعضهما مُطلق» اهـ[١].

٨- **البخس في الكيل والميزان وتعاطي الرشوة**: وهذا من الأمراض الفتاكة التي يتسبب عنها الجدب والقحط وارتفاع الأسعار وظهور الغلاء في الأغذية وغيرها وتَسلُّط الحُكَّام على النَّاس بالجور والظُّلم وهَضْم حُقُوقهم. وفي الحديث: «وَلَمْ يَنْقُصوا المِكيال والمِيزَانَ إلا أُخذوا بالسِّنين وَشدَّة المؤونة وجَوْر السُّلْطَان عَلَيهم» [٢].

وفي الحديث: «لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي»[٣].

٩- **الظلم**: بأنواعه كلها من ظلم العبد لربه ولنفسه وللعباد.

وفي الحديث: «الظُّلم ظُلُمات يَوْمَ القِيَامَة» [٤] وقوله ﷺ: «إِنَّ الله لَيُمْلي

---

(١) إغاثة اللهفان (١/٤٠٣، ٤٠٤).

(٢) حَدِيثٌ صَحِيحٌ: تقدم تخريجه ضمن حديث ابن عمر السابق ص (٦١).

(٣) حَدِيثٌ صَحِيحٌ: رواه أبو داود (٣٥٨٠) والترمذي (١٣٣٧) وابن ماجة (٢٣١٣) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح وهو كما قال وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢/٦٨٣).

(٤) البخاري (٢٤٤٧) ومسلم (٢٥٧٩) (٥٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

للظَّالم حتَّى إذَا أخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ » (١). وفى الحديث القدسي: « يَا عِبَادِي إنِّى حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسى وَجَعلته بينكم محرماً فلا تظالموا » (٢).

١٠- خُذْلان المسلمين وتركُ نُصْرَتهم:

قال الله تعالى: ﴿وإِنِ استَنصَروكُم في الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصرُ﴾ [الأنفال: ٧٢].

وفى الحديث: «الْمسْلِمُ أخُو المسْلم لا يَظْلِمُه وَلَا يَخْذُله ولا يَحْقِره» (٣).

ومع ذلك نرى المسلمين قد خذلوا إخوانهم في البوسنة والهرسك الذين يتعرضون للإبادة والذَّبح على أيدي الصِّرب (٤) والكُروات حملة لواء الحروب الصَّليبة فى العصر الحديث واكتفوا بالشَّجب والاستنكار كالعادة وسوف يجنى المسلمون غِبَّ هذا التخاذل ولو بعد حين!!

---

(١) البخاري (٤٦٨٦) ومسلم (٢٥٨٣) (٦١) من حديث أبي موسى الاشعرى رضى الله عنه.

(٢) مسلم (٢٥٧٧) (٥٥) من حديث أبي ذر رضى الله عنه.

(٣) **حديث صحيح**: رواه أحمد (٢٧٧/٢).

(٤) وقد كتب د. مصطفى محمود مقالا بجريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٢/١٠/٣١م يَحْسُن إيراده هنا، قال:

هذه الزلازل رسالة

فى البوسنة يحارب المسلمون فى أسوأ ظروف يمكن أن يحارب فيها المقاتل.. فالحليف الكرواتى غدر، والعدو الصربى فجر، والتموين الغذائى نضبت موارده، والسلاح انقطعت أسبابه.. وماذا تفعل بندقية أمام دبابة ورصاصة أمام مدفع.. وأمريكا تقول لا رخصة فى تصدير السلاح إلى الجيش البوسني، حتى لا تتسع المعركة ويكثر القتل.. والقصد الخفي واضح، وهو ألا تتسع القدرة الدفاعية عند المسلمين، ويكثر القتلى من الصرب، فالهدف الذى لا يقال هو أن يكون القتلى دائماً من المسلمين، والإبادة دائماً للطرف المسلم، وألا يعود فى أوروبا موطىء قدم للإسلام بعد اليوم..

والجيش الصربى تطوع بأن يكون هو اليد القذرة التى تحمل عبء هذا الإثم التاريخي.. ألا يقول فوشتيك السفاح الصربى بالحرف الواحد فى حديثه لمجلة «دير شبيجل» الألمانية.. لقد قتلت وحدى مئات المسلمين، وقمت شخصيًا بإطلاق الرصاص على الأسرى المسلمين للقضاء عليهم.. وعندما نبهته المجلة إلى المعاهدات=

= الدولية التى تحرم قتل الأسرى، قال إنه لم يجد سيارات لنقل الأسرى، فوجد أرخص طريقة أن يقتلهم بالجملة مثلما أجهز رفاقه الصرب على ٦٤٠ مسلماً كانوا يختفون فى مخبأ.. وحينما سألته المجلة عن الهدف من تلك الحرب، قال دون تردد: هدفنا هو القضاء على المسلمين، فالمسلمون فى أوروبا يجب أن يختفوا كأمة.. وأنا أقتل كل قادر على الحرب من المسلمين، ومن لا أقتله أقوم بخرق عينيه، ونحن نلجأ الى تهشيم أيدى الأسرى ببطء حتى يعترفوا بما نريد من معلومات....

وهذا هو الفحش الإجرامي الذى يجرى على ملأ من دول تتحدث عن العدالة وحقوق الانسان، وتحاكم هذا الزعيم على مظنة نسف طائرة، وهذا الزعيم الآخر على خطف رهينة، وهذا الثالث على إخفاء صواريخ سكود.. بينما هناك عملية إبادة عرقية وطرد جموعي لثلاثة ملايين مواطن من أراضيهم، وقتل وتعذيب وحرق أكثر من سبعين ألف شهيد جهاراً نهاراً أمام تواطؤ عالمى، وأمام دول عربية تكتفى بالشجب والتصريحات، ودول إسلامية أخرى تخفى رؤوسها فى الرمال، وأكثرها فى الواقع فى جيب أمريكا.. والظلم على رؤوس الضعفاء دوار.. ودورنا قادم فى الطريق..

أقول لهؤلاء أن دورنا قادم فى الطريق.. فالجنود التاميل يقتلون اليوم مئات المسلمين فى مذابح متصلة فى سريلانكا... والهنود يقتلون مسلمى كشمير.. والبورميون يذبحون مسلمى بورما بالألوف.. وبالأمس سمعنا عن الدبابات الروسية التى حاولت إرجاع الشيوعى رحمن نابايف إلى مقعد السلطة فى طاجيكستان، وأعملت القتل فى الجبهة الإسلامية الديمقراطية التى طردته.. ثم أخطر من هذا كله ما ينتظرنا فى قلب القلعة العربية الإسلامية.. الترسانة العسكرية النووية والميكروبية والكيميائية التى اسمها إسرائيل، والتى تتربص لتصفية الإسلام من الكرة الأرضية كلها فى المعركة التى يبشر بها تلمودهم وبروتوكولاتهم، والتى يسمونها معركة «هرمجدون».

أقول هذا لكل الإخوة الذين ينعمون اليوم بالفراش اللين، والمطعم الهنىء، والأمن السابغ، وينامون وادعين فى حضن الحية الرقطاء، بينما الظلم الدوار يتنقل حرًا من وطن إلى وطن ومن بيت إلى بيت.. والإخوة الأعداء على الشاطئ الآخر من البحر قد أعطوا الضوء الأخضر للقتل والتصفيات والمذابح.. ولنا مع هذا الغدر موعد.. فلسنا أحب إلى هؤلاء الإخوة من إسرائيل حبيبة العمر.. والله يرج الأرض بالزلازل ويقول: أنا أقوى من كل هؤلاء.. اتقونى أرحمكم وأطيعونى أنصركم.. فأنا وحدى ناصر الضعفاء معز الأذلاء أنا وحدى ولا سواى من يستطيع أن يحيى موتاكم...

فهل وصلتنا الرسالة.. أم مازلنا فى واد آخر؟!!



الباب الخامس
فِقهُ الزَّلازِل

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « السُّنة فى أسباب الخير والشر: أن يفعل العبد عند أسباب الخير الظاهرة والأعمال الصالحة ما يجلب الله به الخير، وعند أسباب الشر الظاهرة من العبادات ما يدفع الله به عنه الشر ..

كما أمر النبى ﷺ عند الخسوف بالصلاة والصَّدقة والدعاء والاستغفار والعتق » ا هـ.

ولما كانت الزلازل من الآيات التى يخوف الله بها عباده شأنها فى ذلك شأن الكسوف والخسوف استحب عندها من الوعظ والصلاة والتقرب إلى الله تعالى بوجوه البر، فمن ذلك :

١- الصــلاة عند الزّلازل : قال ابن قدامة : قال أصحابنا: يصلّى للزلزلة كصلاة الكُسُوف [١] . نصَّ عليه .

---

(١) وصفة صلاة الكسوف كما قال ابن القيم فى زاد المعاد (٤٥٠/١): فتقدم ﷺ فصلى ركعتين : قرأ فى الأولى بفاتحة الكتاب وسورة طويلة، جهر بالقراءة، ثم ركع فأطال الركوع، ثم رفع رأسه من الركوع، فأطال القيام- وهو دون القيام الأول- وقال لما رفع رأسه: « سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ربنا لَكَ الحمد »، ثم أخذ فى القراءة، ثم ركع، فأطال الركوع - وهو دون الركوع الأول-، ثم رفع رأسه من الركوع، ثم سجد سجدة طويلة فأطال السجود.

ثم فعل فى الركعة الأخرى مثل ما فعل فى الأولى .

فكان فى كل ركعة ركوعان وسجودان فاستكمل فى الركعتين أربع ركعات وأربع سجدات » ا.هـ.

وقد روى عنه أنه صلاها على صفات أخر. راجع زاد المعاد (٤٥٢/١-٤٥٦) حيث رجَّح هناك هذه الصفة، قال البخارى: أصح الروايات عندي فى صلاة الكسوف أربع ركعات فى أربع سجدات .

وهو مذهب إسحاق وأبي ثور .

* قال القاضي : ولا يصلّى للرجفة، والريح الشديدة، والظلمة، ونحوها .

* وقال الآمدي : يصلى لذلك، ولرمى الكواكب والصواعق وكثرة المطر .

وحكاه عن ابن أبي موسى .

* وقال أصحاب الرأى : الصلاة لسائر الآيات حسنة؛ لأن النبى ﷺ علل الكسوف بأنه آية من آيات الله تعالى يخوف بها عباده .

* وصلّى ابن عباس للزلزلة بالبصرة . رواه سعيد [(١)] .

* وقال مالك والشافعي: لا يصلى لشئ من الآيات سوى الكسوف؛ لأن النبى ﷺ لم يصل لغيره، وقد كان فى عصره بعض هذه الآيات وكذلك خلفاؤه [(٢)].

● ووجه الصلاة للزلزلة فعل ابن عباس .

وغيرها لا يصلى له لأن النبى ﷺ لم يصل لها ولا أحد من أصحابه والله أعلم ا.هـ [(٣)].

والذى يترجح: أنه يصلى للزلزلة فرادى لا جماعة لأن الاجتماع لها يحتاج إلى دليل [(٤)].

---

(١) إسناده صحيح : رواه البيهقى فى سُنَنه (٣٤٣/٣) بإسناد صحيح وسعيد هو سعيد بن منصور والرواية فى سننه وقد ساقها السيوطى فى كشف الصلصلة (٤٨) .

قال البيهقى: هو ثابت عن ابن عباس رضي الله عنهما وفيه أن صلاته كانت ست ركعات فى أربع سجدات.

وأخرج ابن أبى شيبة (٤٧٠/٢) عن عائشة قالت: «صلاة الآيات ست ركعات فى أربع سجدات» وإسناده صحيح كما قال السيوطى فى كشف الصلصلة ص (٤٩) .

(٢) معرفة السنن والآثار للبيهقى (١٥٦/٥ - ١٥٧) وقال أيضاً الشافعى: «وأنا أحب للناس أن يصلى كل رجل منهم منفرداً عند الظلمة والزلزلة وشدة الريح والخسف وانتثار النجوم وغير ذلك من الآيات».

(٣) المغنى (٣٣٢/٣، ٣٣٣) .

(٤) وراجع: المجموع (٥٨/٥) وبدائع الصنائع (٢٨٢/١) وإرشاد الساري (٢٥٧/٢) .

٢- التوبة والندم : ويستحب عند الزلازل المسارعة إلى التوبة إلى الله تعالى من الذنوب والمعاصي والإقلاع عنها .

قال الإمام النووي : « قال العلماء: التَّوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط :

أحدها: أن يُقلع عن المعصية .

والثاني : أن يندم على فعلها .

والثالث: أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً .

فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته .

وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة: هذه الثلاثة وأن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت مالا أو نحوه ردَّه، وإن كانت حد قذفٍ ونحوه مكَنه منه أو طلب عفوه، وإن كانت غيبة استحله منها »[1] .

قال الله تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور:٣١] .

ولا شك أن الله تعالى أراد من وراء هذه الآيات التى يخوف بها عباده أن يرجعوا إليه ويتضرعوا وينيبوا ويندموا ويقلعوا عن الذنوب .

كما قال بعض السلف وقد زلزلت الأرض: « إنَّ ربكم يَستعتبكُم فاعتبوه » أى يطلبكم للرجوع عن الإساءة واسترضائه [2] .

فالمفلح: من استجاب وتاب وندم ورجع وأناب .

والخاسر : من أعرض وارتاب فحق عليه الغضب والعذاب .

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴾ [طه: ٨١] .

---

(١) رياض الصالحين ص (٤١، ٤٢) .

(٢) قال السيوطى فى كشف الصلصلة (٤٤): أى يطلب منكم العتبى أى الرجوع إلى ما يرضيه وراجع تفسير الطبرى (٧٥/١٥) وتفسير ابن كثير (٤٨/٣) .

٣- الذكر والدعاء والاستغفار : قال القسطلاني: « ويستحب لكل أحد أن يتضرع بالدعاء عند الزلازل ونحوها كالصواعق والرِّيح الشديدة والخسف » ا هـ[١].

* ومما يؤكد ذلك : ما أمر به النبي ﷺ عند الكسوف والخسوف :

– ففي حديث أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال لما كسفت الشمس: «هذه الآيات الَّتي يُرْسِل الله لا تَكُونُ لِموتِ أحدٍ وَلا لحيَاته وَلكنْ يُخَوِّفُ الله بها عِبَادَهُ فإذَا رأيْتم شيئًا مِن ذَلكَ فَافزعُوا إلى ذِكْرِه وَدُعَائِه وَاستغفارِه » [٢].

وقوله ﷺ « هذه الآيات » يدل على دخول الزلازل وغيرها من الآيات مع الكسوف والخسوف في الأمر بالفزع إلى ذكر الله ودعائه واستغفاره .

قال الحافظ ابن حجر: واستدل بذلك على أن الأمر بالمبادرة إلى الذِّكر والدُّعاء والاستغفار وغير ذلك لا يختصُّ بالكُسُوفين لأنَّ الآيات أعمّ من ذلك.. وقال أيضًا: « وفيه النَّدب إلى الاستغفار عند الكُسُوف وغيره لأنه مما يدفع به البلاء» [٣].

– وفي رواية: « فإذا رأيْتم ذلك فادعوا الله وكبروا * » [٤].

– وفي رواية: « فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله » [٥].

قال ابن مالك : « إنما أمر بالدعاء لأن النفوس عند مشاهدة ما هو خارق تكون معرضة عن الدنيا ومتوجهة إلى الحضرة العليا فيكون أقرب إلى الإجابة » ا هـ[٦].

---

(١) إرشاد السَّاري (٢/٢٥٧) .

(٢) البخاري (١٠٥٩) ومسلم (٩١٢) (٢٤) فافزعوا: أي التجئوا من عذاب الله إلى ذكره. الفتوحات الربانية (٤/٢٥٢) .

(٣) فتح الباري (٢/٦٣٥) .

(٤) البخاري (١٠٤٤) ومسلم (٩٠١) (١) من حديث عائشة رضي الله عنها .

* قوله «وكبروا» : أي عظموا الرب وقولوا الله أكبر فإنه يطفئ غضب الرب. الفتوحات الربانية (٤/٢٥١).

(٥) البخاري (١٠٥٢) ومسلم (٩٠٧) (١٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٦) نقله ابن علان في الفتوحات الربانية (٤/٢٥١) .

قال السيوطي: « مما يستحب عند الزَّلزلة.. الدُّعاء والتضرع كما نص عليه في شرح المهذب وتقدم عن عمر بن عبد العزيز[١] . ومما يتأكد من الأذكار: التسبيح فإنه يدفع العذاب كما أشرنا إليه في كتاب الطاعون، والتكبير قياساً على استحبابه عند رؤية الحريق، وقد ورد به الأمر هناك [٢]، وورد به الأمر أيضاً في الكسوف. والصلاة على النبي ﷺ [٣] فإنها تدفع كل بلية، وتزيل كل سوء، ولها مدخل في جميع الأصول الدنيوية والأخروية » ا.هـ [٤] .

* وكذلك ما كان النبيّ ﷺ يقوله من الأدعية [٥] إذا هاجت الريح وعصفت -وهي آية من الآيات- يدل على أنه من باب أولى الزلازل أيضاً .

* ولما كانت الزلازل موطن من مواطن الكرب والشّدة والهم والفزع استحب للمسلم أن يدعو في هذه المواطن بما ورد في ذلك من أدعية ثابتة عن النبي ﷺ.

وقد رأينا من تمام الفائدة أن نذكر طرفاً منها فمن ذلك :

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم » [٦] .

٢- وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان إذا أكْرَبَهُ أمر قال: « يا حيُّ

---

(١) سيأتي الأثر عن عمر بن عبد العزيز في حثه على الصدقة وبعض الأدعية القرآنية ص (٧٣) .

(٢) يشير إلى حديث: « إذا رأيتم الحريق فكبروا .. » وهو حديث ضعيف رواه ابن السني وغيره وفي إسناده ضعف ولذا ضعَّفه الألباني في تخريج الكلم الطيب (٢٢١) .

(٣) راجع: جلاء الأفهام لابن القيم ص (٣١٢) : الموطن الحادي والعشرون من مواطن الصلاة عليه ﷺ عند الهم والشدائد .

(٤) كشف الصلصلة (٥٤) .

(٥) راجع الأذكار للإمام النووي ص (٢٩٧ :٣٠٠) باب ما يقوله إذا هاجت الريح .

(٦) رواه البخاري (٦٣٤٥) ومسلم (٢٧٣٠) (٨٣) .

يا قيوم برحمتك أستغيث »[١].

٣- وعن أبي بكرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « دعوات المكروب: اللهمّ رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كلّه، لا إله إلا أنت »[٢].

٤- وعن أسماء بنت عميس رضى الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: « ألا أعلّمك كلمات تقوليهن عند الكرب - أو في الكرب-: الله الله ربّي لا أشرك به شيئًا »[٣].

٥- وعن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « دعوة ذي النّون إذ دعا ربّه وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إنّي كنت من الظّالمين، لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب له »[٤].

وغير ذلك كثير مما هو مدون في كتب السّنة والأذكار والأدعية .

ويضاف إلى ذلك الأدعية القرآنية[٥] .

---

(١) حديث حسن: رواه الترمذي (٣٥٢٢) وابن السنى (٣٣٢) بإسناد ضعيف إلا أن له شاهد عند الحاكم (٥٠٩/١) ولذا حسنه الألباني في تخريج الكلم الطيب ص (٧٢) .

(٢) إسناده حسن : رواه أبو داود (٥٠٩٠) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٦٥١) بإسناد حسن .

(٣) حديث حسن : رواه أبو داود (١٥٢٥) وابن ماجة (٣٨٨٢) وأحمد (٣٦٩/٦) وحسنه الألباني في تخريج الكلم الطيب ص (٧٣) .

(٤) حديث صحيح : رواه الترمذي (٣٥٠٠) وأحمد (١٧٠/١) والحاكم (٣٨٣/٢) وصححه ووافقه الذهبي قال الألباني في تخريج الكلم الطيب ص (٧٤): « وهو كما قالا » .

(٥) راجع: الأذكار للإمام النووى (٢١٤ : ٢١٧) والدعاء للطبراني ص (١٢٦٩) والوابل الصيب لابن القيم (٢٣٥) ونزل الأبرار (١٤٦) لصديق حسن خان في الأدعية القرآنية المطلقة .

٤- القَنوت عند الزّلازل ؟

القَنوت: اسم للدعاء في الصلاة في محل مخصوص من القيام [١] قال الشوكاني: « القنوت مختص بالنوازل وأنه ينبغي عند نزول النّازلة أن لا تَخص به صلاة دون صلاة » ا هـ [٢] .

وقال ابن القيم: « وكان من هديه ﷺ القنوت في النوازل خاصة وتركه عند عدمها » ا هـ [٣].

وقال الحافظ ابن حجر: « ويؤخذ من الأخبار أنه ﷺ كان لا يقنت إلا في النوازل » ا هـ [٤] .

* ومعنى النّازلة كما يقول ابن علان: « نازلة عامة أو خاصة في معنى العامة لعود ضررها على المسلمين على الأوجه كوباء وطاعون وقحط وجراد وكذا مطر يضر بالعمران أو زرع وخوف عدو وكأسر عالم أو شجاع .. » [٥] ا هـ.

قلت: ويدخل في ذلك الزلازل وما تسببه من دمار قال الجوهري: « النّازلة الشّدة من شدائد الدهر تنزل بالنّاس » ا.هـ [٦] .

* والسنة في قنوت النّوازل: أن يقتصر الدّاعي فيه على ما يناسب النازلة فقط.

كذلك ما يفعله بعض الأئمة من التزام الإطالة في الدعاء إطالة يربو زمنها على الزمن الذى قضيت فيه الصلاة جميعها أو حتى على زمن القيام فيها أو التشهد فهو مخالف لسنته ﷺ [٧].

---

(١) الفتوحات الربانية (٢٨٦/٢) .

(٢) نيل الأوطار (٣٤٦/٢) .

(٣) زاد المعاد (١٤١/١، ١٤٢) .

(٤) الدراية ص (١١٧) .

(٥)، (٦) الفتوحات الربانية (٢٨٨/٢، ٢٨٩) .

(٧) من كلام للشيخ عبد الله بن قعود. راجع من مخالفات الطهارة والصلاة (ج١٢٩/٢) لعبد العزيز بن محمد السدحان.

٥- الصَّدقـة وبَذْلُ المَال : وَمِمَّا يستحب عند الزلزلة التصدق وبذل المال فعن جعفر بن برقان قال: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز في زلزلة كانت بالشام: أن أخرجوا يوم الاثنين من شهر كذا وكذا، ومن استطاع منكم أن يخرج صدقة فليفعل، فإنَّ الله تعالى قال: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ [الأعلى:١٤، ١٥].

وفي رواية من وجه آخر عن جعفر بن برقان قال: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز: إن هذا الرَّجف شيء يُعَاقِبُ الله به العباد، وقد كَتَبْتُ إلى أهل الأَمْصَار: أَنْ يُخرجوا يوم كذا وكذا في شهر كذا وكذا في سَاعَةَ كذا وكذا فأَخْرجوا، ومن أراد منكم أن يتصدق فليفعل فإن الله قال: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ [الأعلى:١٤، ١٥] وقولوا كما قال أبوكم عليه السَّلام: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وإن لم تَغْفِر لَنَا وَتَرْحَمْنَا لنكُونَنَّ مِن الخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف:٢٣].

وقولوا كما قال نوح عليه السلام: ﴿ وَإلا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْني أَكُن مِّنَ الخَاسِرِينَ ﴾ [هود: ٤٧].

وقولوا كما قال موسى عليه السلام: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾ [القصص: ١٦].

وقولوا كما قال ذو النون: ﴿ لا إِلَهَ إِلا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧] (١).

وقال السيوطي في كشف الصلصلة: « مما يستحب عند الزلزلة التصدق قياساً على الأمر به في الكسوف » اهـ (٢).

---

(١) إسناده حسن: رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٤٧٢/٢) بإسناد حسن. جعفر بن برقان صدوق يهم في حديث الزهري كما في التقريب.
والرواية الأخرى عند أبي نعيم في الحلية (٣٠٤/٥، ٣٠٥) والأثر أورده السيوطي في كشف الصلصلة ص(٥٠، ٥١).
(٢) كشف الصلصلة (٥٤).

قلت: يشير السيوطى رحمه الله إلى حديث عائشة فى كسوف الشمس بلفظ: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا »[1].

قال ابن علان: « وتصدقوا: أى بأنواع الإحسان إلى الفقراء والمساكين ففيه إشارة إلى أن الأغنياء والمتنعمين هم المقصودون بالتخويف من بين العالمين لكونهم غالبًا للمعاصى مرتكبين »[2].

وبوب البخارى فى صحيحه على الحديث (باب الصدقة فى الكسوف) .

وكذلك مما يؤكد المسارعة إلى بذل المال والتصدق فى مثل هذه الأحوال وغيرها – لاسيما صدقة السر – قوله ﷺ: « صَنَائِعُ المعروف تَقِي مصارع السُّوء، وَصَدَقَةُ السِّر تُطفِئُ غَضَبَ الرَّب »[3] .

قال المناوى: « يمكن حمل إطفاء الغضب على المنع من إنزال المكروه فى الدُّنيا ووخامة العاقبة فى العقبى » .

وقال: « وأراد بميتة السوء ما لا تحمد عاقبته ولا تومن غائلته من الحالات التى يكون عليها الإنسان عند الموت كالفقر المدقع والوصب الموجع وموت الفجاءة والغرق والحرق ونحوها – ذكره التوربشتي – » ا.هـ[4] .

قلت: ويدخل فى ذلك ما تسببه الزلازل من موت بسبب الهدم وغيره .

---

(١) البخاري (١٠٤٤) .

(٢) الفتوحات الربانية (٢٥١/٤، ٢٥٢) .

(٣) حَدِيثٌ حَسَن : رواه الطبراني فى الكبير (٨٠١٤) وحسن إسناده الهيثميّ فى المجمع (١١٥/٣) والمنذري فى الترغيب وفى إسناده ضعف إلا أن له شواهد كثيرة تقويه ولذا حسنه الألباني فى صحيح الترغيب (٤٤٥/١) .

(٤) فيض القدير (١٩٣/٤) .

٦- العتق عند الزلازل: كذلك مما يستحب عند الزلزلة العتق قياساً على الكسوف.

فعن أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنها قالت: «لقد أمر النبى ﷺ بالعتاقة * في كسوف الشمس»[١].

وبوب البخاري على الحديث (باب من أحب العتاقة فى كسوف الشمس).

وفي رواية: «كنا نؤمر عند الخسوف بالعتاقة»[٢].

وبوب البخاري على هذه الرواية بقوله: (باب ما يستحب من العتاقة في الكسوف أو الآيات)[٣].

٧- تذكير الناس ووعظهم: وقد دلّ على ذلك صنيع النبى ﷺ لما وقعت حادثة كسوف الشمس وهى آية من آيات الله.

ففى رواية أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها: «... فـ [خَطَبَ النَّاس، فَحَمِدَ اللهَ] أثنى عليه بما هو أهله ثم قال: [إن الشمس والقمر] هما آيتان من آيات الله [يريهما عباده]، لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموهما فافزعوا إلى الصلاة وفي راوية: فادعوا الله وكبروا وصلوا [حتى يفرج عنكم] وتصدقوا، لقد رأيت فى مقامي هذا كل شئ وعدته، حتى لقد رأيت أن آخذ قطفاً من الجنة حين رأيتمونى جعلت أتقدم، ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً حين رأيتمونى تأخرت، ورأيت فيها عمرو بن لحى [يجر قصبه*، وهو الذى (وفى رواية: وهو أول من) سيب

---

(١) البخاري (١٠٥٤) * العتاقة: فك الرقاب من العبودية وهو مشتق من قولهم عتق الفرس إذا سبق وعتق الفرخ إذا طار، لأن الرقيق يتخلص بالعتق ويذهب حيث شاء. فتح البارى (١٧٤/٥).

(٢) البخاري (٢٥٢٠). وذلك حسب الحال والزّمان إن وُجِد رق يحتاج لعتق.

(٣) قول البخاري: (أو الآيات) فيه إشارة لاستحباب ذلك عند الآيات الأخرى مثل الزلازل وغيرها.

* قصبه: أمعاءه.

السوائب] ثم قال: يا أمة محمد! والله ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده، أو تزني أمته، يا أمة محمد! والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً)، [ثم أمرهم أن يتعوذوا من عذاب القبر] » [(١)].

وفي الأثر: أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما زلزلت الأرض على عهده خطب النَّاس فقال: « أحدثتم، لقد عجلتم، لئن عادت لأخرجن من بين ظهرانيكم» [(٢)].

وفي هذا دليل واضح على مدى حرص رسول الله ﷺ على أمته وتوجيه النصح الوعظ والإرشاد إليهم عند الحوادث والآيات [(٣)] .

---

(١) رواية أم المؤمنين عائشة أخرجها البخاري في أربعة عشر موضعاً من صحيحه: (١٠٤٤، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٥٠، ١٠٥٦، ١٠٥٨، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٢١٢، ٣٢٠٣، ٤٦٢٤، ٥٢٢١، ٦٦٣١)
وقد جمع الألباني زياداتها في موضع واحد في مختصره للبخاري (١/٢٥٢، ٢٥٣) ومنه نقلت . وراجع أيضاً رواية ابن عباس وأبي بكرة والمغيرة بن شعبة وأبي موسى وأسماء في صحيح البخاري: كتاب الكسوف. وكذا زاد المعاد (١/٤٥٠-٤٥٢) في الأشياء التي وعظهم بها النبي ﷺ في حادثة الكسوف .

(٢) أثر صحيح : تقدم تخريجه ص (٥٩) .

(٣) ومن أسخف ما قرأت في هذا الشأن ما كتبه أحدهم بمجلة أكتوبر بتاريخ ١٩٩٢/١٠/٢٥م يقول: « أنا أرفض حتى الوعظ باسم الزلزال واستغلاله في هداية الناس للدين، كالقول بأنه غضب من الله، بل أعتقد أن حادثة كسوف الشمس عند وفاة إبراهيم بن محمد صلوات الله عليه وربط الناس بين الكسوف وموت فلذة كبد رسول الله ومسارعة النبي لإعلان أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تكسفان لموت بشر أعتقد- أن من بين المعاني التي أريد تلقينها للمسلمين من تلك الواقعة: أنه لا علاقة بين البشر سلوكهم والظواهر الكونية فهذا تفكير جاهلي تخطته وأبطلته عقلانية الإسلام التي تجلت عند وفاة إبراهيم، ولكن التخلف والاستسهال هو الذي يغري الوعاظ باعتلاء المنابر والربط بين الزلازل وشرب الخمر والزنا وأكل حقوق اليتامى والظلم والفساد .. » إلخ ا.هـ!!!
وحكاية مثل هذا القول تغني عن ردِّه، بل إن في الحديث نفسه رداً عليه فإن النبي ﷺ قد خطب الناس ووعظهم وذكرهم وحثهم على العتاقة والصلاة والصدقة، بل قال النبي ﷺ: « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لاينكسفان لموت أحد، ولكن الله تعالى يخوِّف بهما عباده » وفي رواية: « فإذا رأيتم شيئاً من ذلك فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره » . =

وكذلك أصحابه الكرام الذين ساروا على دربه ونهجه في التّبليغ والإنذار عند التغيير والتبديل .

بل استحب السُّيوطي للإمام الأعظم أن يخطب عند الزلزلة فقال: « ولو قيل باستحبابها (أي الخطبة) للإمام الأعظم خاصة لم يبعد »[١] .

= ومن ذلك ما قاله أحدهم بجريدة الأخبار القاهرية بالحرف الواحد – تعقيباً على عرض المهندس أكثم إسماعيل الذي نجا من الزلزال في برنامج تليفزيوني وأنه سيفرغ نفسه للعبادة والمسجد– قال: « تصورت خلال مشاهدتي.. أن مبنى التليفزيون قد وقع في يد تنظيم الجهاد، وأن البيان رقم واحد سيعقب هذا البرنامج المريب، يحمل نبأ تأليف الوزارة الجديدة برئاسة مولانا الإمام حجة الإسلام كحكوح بن سمعان!.. فهذا أمر يجعلنا لا نطمئن كثيراً على المستقبل، خصوصاً بالنسبة للمعركة بين أنصار التقدم ودعاة العودة إلى عصور ما قبل التاريخ.. ولا أدري كيف فات على معد البرنامج العبقري الاستعانة بفرقة أبو الغيط؟ وكيف لم يقدم للمشدهين مع البرنامج واعظاً من إياهم مثل الشيخ حسن مآته!! لكي يحدثنا عن عذاب القبر، ويصف لنا خواص الماء المغلي الذي سيشربه الكافرون في الدرك الأول من النار!!! .. نسأل الله أن يجعلنا من بركاتكم، وأن يجعل آخرتنا في زاوية من زوايا التليفزيون، أو في برنامج على الهواء ننقطع فيه للعبادة والصلاة » ا هـ.

– سبحان الله العظيم! ما هذا الاستخفاف الذي يصل إلى حد الاسفاف؟ وما هذه الجرأة على دين الله؟ وما هذا التهكم والاستهزاء بشرع الله وأمره؟!

ونحن لا ننكر أن الإسلام نهى عن التبتل، ولكن ماذا عليهم لو آمن الناس بالله واليوم الآخر، وبادروا إلى الطاعات وتركوا المعاصي، وما الذي يضيرهم في ذلك؟.

والنصوص من القرآن والسنة كثيرة جداً تفيد القطع واليقين بثبوت عذاب القبر ولا يتسع المقام لذكر أمثلة منها الآن، وانظر كتابي « القبر » .

فإلى الله المشتكى من هذه الأقلام المسمومة والحناجر المريضة ..

والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل.

(١) كشف الصلصلة (٥٤)



الخاتمة

في إرشادات واحتياطات للزلازل



أولاً: قبل حدوث الزلازل

١ـ الاهتمام بتصميم منزلك ليكون مقاوماً للزلازل. وكذلك عند السَّكن في منزل فعليك أن تختار الذي اتبع قواعد الزلازل في تأسيسه وتصميمه.

٢ـ كن علىٰ معرفة بالمنطقة الأكثر أمناً في منزلك، وهي تختلف من منزل لآخر بحسب تصميمه ومحتوياته. والجدران المدعمة بالحديد تُعدّ الأكثر أمناً، ومن المفضّل الوقوف بجانبها لأنّها أخر ما يسقط في المنزل.

٣ـ اهتم بتثبيت الخزائن الكبيرة والمكتبات والأرفف في المطابخ. وكذا سخانات المياه وما يُشبهها.

٤ـ احفظ السوائل الخطرة القابلة للاشتعال أو الحارقة في أماكن خاصة.

ثانيـاً: أثناء حدوث الزلازل

*** في حالة كنت بداخل السَّكن:**

١ـ إلزم الهدوء ولا تحاول الهروب من المنزل ولكن اختبئ بأسرع وقت ممكن بالجلوس تحت الطاولات أو إطارات الأبواب وحاول إطفاء مصادر النار مثل الموقد وغيرها إذا كنت قريبا منها حتىٰ لا تسبب حريقا .

٢ـ اهتم دائمـاً بالأطفال وطمئنهم سواء كنت في المنزل أو في أي مكان آخر. وأما المرضىٰ وكبار السن والأطفال فيجب مساعدتهم قدر الإمكان.

٣ـ اجعل الأغراض الشخصية مثل مفاتيح البيت والسيارة وبطاقات الهوية والأموال دائمًا في متناول اليد.

٤ـ في حال السَّكن في طابق أرضي، فعليك الخروج فوراً، والبقاء بعيداً عن المبنىٰ. أما في حال السكن في طابق مرتفع، فالزم المنزل، ولا تغادره، واحتمي تحت طاولة، أو عليك الوقوف بين حائط وخزانة، أو التمركز في زاوية لتوفير فرصة نجاة في حال انهيار المبنىٰ، وتفادي سقوط أيّ شيء علىٰ الشخص .

٥ـ في حال كان أحد أفراد العائلة نائمـًا فيجب إيقاظه علىٰ الفور بأية وسيلة، ويمكن استخدام الهواتف في ذلك. وإذا كنت في دورة مياه، فعليك الخروج فوراً.

*** في حالة كنت خارج السَّكن:**

١ـ ابتعد عن المباني واذهب في اتجاه الأماكن الخالية مثل الحدائق والساحات .

٢ـ تجنب استخدام المصاعد فهي عُرضة للعطل والسقوط أثناء الزلازل.

٣ـ إذا كنت تقود سيارة فتوقف فوراً في مكان مكشوف، بعيد عن الإشارات واللوحات الإعلانية، وابتعد أيضًا عن الأشجار وأعمدة الكهرباء والمباني، وكل ما هو معرَّض للسقوط، كما يُفضّل عدم التوقف علىٰ الجسور أو تحتها.

ثالثـًا: بعد حُدوث الزلازل

١ـ إذا لاحظت أن السَّكن في حالة إنشائية سيئة وقد ينهار ، فحاول الهروب منه بحذر شديد، وتجَنَّب سقوط حائط السَّقف عليك أثناء هروبك.

٢ـ تأكد من صلاحية الوَصَلات الكهربائية، وتوصيلات الغاز قبل أن تقوم باستعمال أي نوع من النار في المنزل.

٣ـ كن مستعدًا نفسيًّا للهزات الأرضية اللاحقة ولا تستغرب حدوثها.

٤ـ إذا نجاك الله تعالىٰ من هذا البلاء فاشكره علىٰ نجاتك ، وكُن عونًا لإخوانك المنكوبين بكل ما تستطيع جهد ومَال ودُعاء.

والله تعالىٰ خيرُ حافظٍ، وهو أرحم الراحمين، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

***

أهم المصادر والمراجع

١- «**الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**» : ترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م، ١٨ جزء.

٢- «**إحْكَام الأحكام شرح عُمدة الأحكام**» للإمام تقي الدين ابن دقيق العيد (**ت ٧٠٢هـ**)، بتحقيق محمد حامد الفقي ، ومراجعة أحمد محمد شاكر ، مطبعة السنة المحمدية ، ط١ ، ١٣٧٢هـ =١٩٥٣م ، ١- ٢ج .

٣- «**أحكام الجنائز وبدعها**» : محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

٤- «**إحياء علوم الدين**» : أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، دار المعرفة - بيروت، ٤ مج .

٥- «**الأذكار من كلام سيد الأبرار المسمىٰ حلية الأبرار وشعار الأخيار**» للإمام النووي (ت ٦٧٦هـ)، تحقيق محي الدين مستو، دار ابن كثير - دمشق ـ بيروت، ط٢، ١٤١٠ - ١٩٩٠ .

٦- «**إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**» : للقسطلاني (ت ٩٢٣هـ)، المطبعة الكبرىٰ الأميرية، مصر، ط٧، ١٣٢٣ هـ، ١٠مج .

٧- «**أسباب هلاك الأمم وسنة الله في القوم المجرمين والمنحرفين**»: عبد الله التليدي ، ط١ ، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٩٨٦م.

٨- «**أشراط الساعة**»: يوسف بن عبد الله الوابل، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع - الدمام، ط٢، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م .

٩- «**إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**» لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) ، تحقيق : محمد حامد الفقي، القاهرة ، مكتبة مصطفىٰ البابي الحلبي ، ١٩٣٩م . (جزآن) .

١٠- «**الإيمان**»: **أبو بكر** ابن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ) تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

١١- «**البداية والنهاية**» : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، مكتبة المعارف بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، ١٥ مج

١٢- «**بذل الماعون في فضل الطاعون**»: الحافظ أحمد بن علىٰ بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق أحمد عصام الكاتب، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١١هـ = ١٩٩١م.

١٣- «**التصريح بما تواتر في نزول المسيح**» : محمد أنور شاه الكشميري (ت ١٣٥٣هـ) تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية ـ حلب ، ط٣ ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١ م.

١٤- « **تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن**»: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، ت ٣١٠هـ . حققه وعلّق حواشيه محمود محمد شاكر، وراجعه وخرج أحاديثه أحمد محمد شاكر . القاهرة : دار المعارف، ط١ ، ١٩٥٤- ١٩٥٨م ، ١- ١٣ج .

١٥- «**تفسير القرآن العظيم**»: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، مصر: مطبعة عيسىٰ البابي الحلبي، بدون تاريخ، ٤ مج.

١٦- «**الجامع الصَّحيح وهو سُنن الترمذي**»: أبو عيسىٰ محمد بن عيسىٰ بن سورة (ت ٢٧٩هـ)، بتحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، الجزآن الأول والثاني، مطبعة مصطفىٰ الحلبي وأولاده بالقاهرة، ط١، ١٣٥٦- ١٣٥٩هـ/ ١٩٣٧ - ١٩٤٠م.

١٧- «**الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي**» (الداء والدواء) : لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) ط١، المطبعة السلفية، ١٣٤٦ هـ = ١٩٢٨م.

١٨- «**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**» لأب نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) ، ط٢ ، مصر : مطبعة السعادة، ١٣٩٤ = ١٩٧٤م ، ١٠ مج.

١٩- «**كتاب الدعاء**» للإمام الطبراني (ت٣٦٠هـ) تحقيق محمد سعيد بن محمد حسن البخاري، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط١، ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م، ٣مج.

٢٠- **الرسالة التبوكية** لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) اعتنىٰ بنشرها وتحقيقها وتخريج أحاديثها: أشرف عبد المقصود عبد الرحيم ، مصر - الإسماعيلية ، مكتبة الإمام البخاري، القاهرة ، ط١ ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م .

٢١- «**رياض الصالحين**» : الإمام يحيىٰ بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط٧، مؤسسة الرسالة- بيروت ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.

٢٢- «**زاد المعاد في هدي خير العباد**» لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) ، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه : شعيب الأرناؤوط ، وعبد القادر الأرناؤوط ، لبنان - بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط١، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م، ٦ مج.

٢٣- «**الزهد**»: الإمام عبد اللَّه بن المبارك المروزي، أبو عبد اللَّه (ت ١٨١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٣٨٦هـ.

٢٤- «**سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**» (المجلد الأول والثاني)، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق، الطبعة الثانية، ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م.

٢٥- «**سُنن أبي داود: الإمام أبو داود**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر - بيروت، دون تاريخ، ٤ مج.

٢٦- «**سنن الترمذي**»: أبو عيسىٰ محمد بن عيسىٰ بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر (جـ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض (جـ ٤، ٥)، مصطفىٰ البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م.

٢٧- «**صحيح مسلم**» : أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١ هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسىٰ البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط١، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥م، ٥ مج.

٢٨- «**صحيح الترغيب والترغيب**» الجزء الأول: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.

٢٩- **عون المعبود علىٰ سنن أبي داود،** ومعه: «شرح ابن القيم» : شرف الحق العظيم آبادي (١٣٢٩هـ) - ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)؛ تحقيق عبد الرحمن عثمان، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط٢، ١٣٨٨ - ١٩٦٨م.، ١٤مج .

٣٠- «**فتح الباري بشرح صحيح البخاري**» : أحمد بن علي بن حجر، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، إشراف محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٣١- «**الفتوحات الربانية علىٰ الأذكار النووية**» لمحمد بن علان الدمشقي (ت ١٠٥٧هـ)، دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م ، ٨ ج ، مصورة عن نسخة جمعية النشر والتأليف الأزهرية .

٣٢- «**الفوائد**» لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) ، تخريج وحواشي : أحمد راتب عرموش ، لبنان - بيروت ، دار النفائس ، ط٤ ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .

٣٣- «**في سبيل موسوعة علمية**»، للدكتور أحمد زكي ، القاهرة: دار الشروق، ط١، ١٩٨٢م.

٣٤- «**فيض القدير شرح الجامع الصغير**»: محمد عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١ هـ)، ت: أحمد عبد السلام، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩١هـ = ١٩٧٢م.

٣٥- «**كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة**» لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) اعتنىٰ به وعلق عليه: عبد الرحمن الفريوائي، مكتبة الدار - المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.

٣٦- «**كل شيء عن: البراكين والزلازل**» لفريدريك هـ. بو، ترجمة الدمرداش عبد المجيد سرحان، دار المعارف بمصر ، ط٥ (منقحة) ، ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م.

٣٧- «**الكلم الطيب**»: شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ط١، ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م

٣٨- «**الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري** » : محمد بن يوسف الكرماني، المطبعة البهية المصرية، ط١ ، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م، ٢٥ ج.

٣٩- «**لسان العرب**»: لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٥٥م.

٤٠- «**مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**»: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م.

٤١- «**المجموع**»: الإمام النووي (ت ٦٧٦هـ)، تحقيق، ط دار الفكر بيروت، بدون تاريخ .

٤٢- «**مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ت ٧٢٨هـ**» : جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. القاهرة : مكتبة ابن تيمية بدون تاريخ، ٣٧ مج .

٤٣- «**المدهش**» : للحافظ ابن الجوزي (٥٩٧هـ) ، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٩٨١م.

٤٤- «**المصنف في الأحاديث والآثار**» : لأبي بكر أبي شيبة، تحقيق: عامر العمري الأعظمي، الناشر: مختار أحمد الندوي السلفي، الدار السلفية ـ ط١، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.

٤٥- «**نـزل الأبرار بالعلم المأثور من الأدعية من الأذكار**»: صديق حسن خان (ت١٣٠٧هـ) ، دار المعرفة بيروت، ط١، ١٩٧١م.

٤٦- «**النهاية في غريب الحديث والأثر**» لابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، ط١، بيروت - المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

* **المجلات والدوريات:**

٤٧- **جريدة الأهرام**: بتاريخ ١٨/ ١٠/ ١٩٩٢م.

٤٨- **جريدة الأهرام**: بتاريخ ١٩/ ١٠/ ١٩٩٢م.

٤٩- **جريدة الأهرام**: بتاريخ ٣١/ ١٠/ ١٩٩٢م .

٥٠- **جريدة الجمهورية**: بتاريخ ١٦/ ١٠/ ١٩٩٢م.

٥١- **جريدة الجمهورية**: بتاريخ ٢٥/ ١٠/ ١٩٩٢م.

٥٢- **مجلة أكتوبر**: بتاريخ ٢٥/ ١٠/ ١٩٩٢م

٥٣- **مجلة العلم والإيمان** (تونس) : عدد٩ ، شهر أكتوبر سنة ١٩٧٦م .

***

فهرس الموضوعات


تم الكتاب بحمد الله

التَّخْوِيفُ والعِظَاتُ
بالزَّلازِلِ والآيَاتِ

هذا الكتاب

مبحث لطيف يدور حول آية من آيات الله يرسلها لعباده هي آية الزلازل: قال سبحانه ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩]. آية باهرة تدل على قدرة الله وعظمته. وتذكرنا بيوم الزلزلة الكبرى! يرسلها للكافرين غضبًا وانتقامًا كما أهلك مدين وثمود! ويرسلها للمؤمنين عذابًا وتطهيرًا لهم في الدنيا، وقد تكون ابتلاء..!

والسبب الباعث على كتابته هو ما وقع في يوم ١٥ من شهر ربيع الآخر سنة ١٤١٣ هـ الموافق ١٢ من أكتوبر ١٩٩٢م من زلزال مروع بمصر راح فيه تحت الهدم مئات الأرواح والضحايا! فأحدث هذا الزلزال في نفوس كثير من الناس عدة تساؤلات امتلأت بها الصحف والمجلات..

فكان من الواجب علينا أن نجيب عن هذه التساؤلات لا سيما وقد رأينا من يتكلم فيها بغير علم، وشاهدنا من يجن جنونه من العلمانيين إذا رأى من يذكر الناس بهذه الآيات ويطلب منهم الرجوع والتوبة إلى الله تعالى!! من هنا كانت الحاجة إلى هذا الكتاب

رقم الإيداع ٩٤٢٩ / ١٩٩٢